

التحف في مذاهب السلف

تأليف
العالم الرباني والنجم اليماني

محمد بن علي الشوكاني



قدم لها وضبط نصها وعلق عليها

سليم بن عيد الهلالي
علي حسن علي عبد الحميد

دار ابن الجوزي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التحف

في مَذاهِبِ السّلفِ

الطبعة الثانية

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الدمام ـ شارع ابن خلدون ـ ت: ٨٤٢٨١٤٦ ـ ٨٤٦٧٥٨٩ ـ ٨٤٦٧٥٩٣،
ص ب:٢٩٨٢ ـ الرمز البريدي:٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ ـ الرياض ـ ت: ٤٢٦٦٣٣٩ ـ الإحساء ـ الهفوف
ـ شارع الجامعة ـ ت: ٥٨٨٣١٢٢ ـ جدة ـ ت: ٦٥١٦٥٤٩ ـ ٦٨١٣٧٠٦ ـ بيروت ـ هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
ـ فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ ـ القاهرة ـ ج.م.ع ـ محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ ـ تلفاكس: ٠٢٢٥٦١١٤٧٣
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.jwzi.com

التحف

مجملها

في مذاهب السلف

تأليف
العالم الرباني والنجم اليماني
محمد بن علي الشوكاني
١١٧٣هـ - ١٢٥٠هـ

قدم لها وضبط نصها وعلق عليها
سليم بن عيد الهلالي - علي حسن علي عبد الحميد

دار ابن الجوزي



□ المقـدّمـة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفُسِنا، ومِن سيِّئاتِ أعْمالِنا، مَن يهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلَهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

أمّا بعد:

فإنَّ مَعرفةَ الله ـ سبحانَه وتَعالى ـ بأسمائِهِ الحُسْنى، وصِفاتِهِ العُليا، الواردةِ في كتابهِ وسنَّةِ رسولِهِ ﷺ، **أَسْمى عقائِد الإسلام**، حيثُ تتجلَّى هذه الأهميةُ الكُبرى في وجوهٍ كثيرةٍ، منها:

أنَّ ملاكَ السعادةِ والنَّجاةِ والفوزِ بتحقيقِ التوحيد الذي عليه مدارُ كتابِ الله، وبتحقيقهِ بعثَ الله رسولَه ﷺ، وإليه دعتِ الرسلُ ـ صلى الله عليهم وسلم ـ من أولِهم إلى آخرِهم.

وهو قسمان:

أ ـ التوحيدُ العلميُّ الخَبريُّ الاعتقاديُّ، المتضمنُ إثباتَ صفاتِ الكمالِ لله تعالى، وتنزيهَهُ فيها عن التشبيهِ والتمثيلِ، وتنزيهَه عن صفاتِ النَّقصِ.

ب ـ **التوحيدُ العمليُّ**، المتضمنُ عبادةَ الله وحده لا شريكَ له، بما شرع، وتجريدَ محبتِهِ، والإخلاصَ لهُ، وخوفَه، ورجاءَهُ، والتوكلَ عليه، والرضى بهِ رباً وإلٰهاً ووليًّا، وأن لا يُجْعَلَ له نِدٌّ في شيء من الأشياء.

وقد جمع الله ـ سبحانه ـ هٰذين القسمين من التوحيد في سورتين تضمَّنَتَا الإخلاص له جلَّ شأنه، وهما: ﴿قُلْ هُو الله أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يا أيُّها الكافِرونَ﴾.

ولهـذا كان النبيُّ ﷺ يقـرأُ بهاتين السورتين في سنَّةِ الفجرِ[1]، والمغرِبِ[2]، والوَتْرِ[3].

ولقد سمعَ النبيُّ ﷺ رجلاً يقرأُ ﴿قُلْ يا أيُّها الكافِرون﴾ في الركعة الأولى من سنة الفجر، فقال:

«هذا عبدٌ آمنَ بربه».

ثم قرأ ﴿قُلْ هو الله أَحَدٌ﴾ في الركعة الثانية، فقال:

«هٰذا عبدٌ عَرَفَ ربَّه»[4].

وظلَّ المسلمون حيناً من الدهرِ ينهلون هذه المعرفةَ من الكتابِ والسُّنَّة حتى أطلت سفسطةُ اليونانِ وفلسفةُ الرومانِ برأسِها على أيدي من يبتغون الفِتْنَةَ وتأويلَ القرآن، فاجتالوا المسلمين عن سيرةِ السَّلفِ

(١) كما في «الصحيحين».

(٢) أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح.

(٣) أخرجه النسائي والحاكم، وصححه، وهو كما قال.

(٤) أخرجه البخاري في «جزء القراءة»، ومسلم.

الأولِ الـذين رضي الله عنهم ورضـوا عنـه، ووجدوا فرصةً للكلام، فجَـدُّوا في هدمِ الإسلام ، وتعطيلِ أسماءِ ذي الجلالِ والإكرامِ ، وإنكـارِ صفاتِه، وتكذيبِ رُسُلِه، وإبطالِ وحيِه؛ إذ وَجَدُوا فُرصَتَهم، وأحسوا مِن العامَّة جَهلاً، ومن العلماء قِلَّةً، فنَصَبوا عندها الكفرَ للناس إماماً، يدعونهم إليه.

لكن الله ـ سبحـانـه وتعـالى ـ لا يزالُ يغرسُ لهذا الدين غرساً يصنعُهم على عينِـه، ويَستعملُهم بطاعتِـه؛ فنبتَ رجـالٌ نَطَقَ بهم الكتابُ، وبهِ نَطَقوا، وقامت بهم السُّنَّة المطهَّرةُ، وبها قاموا؛ فأخرسوا صوتَ المُنْكَـرِ، وشَدخُوا رأسَ البدعةِ، وأحيوا في النَّاسِ سُنَناً أماتَها الذينَ في قلوبهم مَرضٌ، وأعادوا بناءَ العقيدةِ التي أعمَلت فيها معاولَها أيدي السوءِ ردّاً وتأويلاً، وأمعنوا في حُجَجِ الباطِلِ نَحراً وتَقتيلاً.

وكان من سِلسلَتِهم المباركةِ العالمُ الربَّانيُّ والنَّجم اليَمانيُّ محمد ابن عليٍّ الشوكـانيّ ـ رحمـه الله ـ الـذي تعـرض لمسـائـل الأسماءِ والصفـاتِ، فأيَّدَ سلَفَه في إثباتِها؛ مِن غيرِ تأويلٍ ، ولا تَعطيلٍ ، ولا تَمثيلٍ ، ولا تَشبيهٍ، ولا تَفويضٍ ، ودافَعَ دِفاعاً تُحمَدُ عُقباهُ، فكان إهاباً امتلأ عِلماً، وجواداً قلَّما تعثَّرَ قلمُهُ أو تَزِلّ قدمُهُ في اتِّباعِ السَّلَف الصالحِ (1).

والرسالةُ التي بينَ يديكَ ـ أخي القارىء ـ فيها خلاصةٌ نافعةٌ،

---

(1) انظر: «الإمام الشوكاني مفسراً»، للدكتور محمد حسن الغماري (ص ١٨٠)، و«المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات»، للمغراوي (٢ / ٢٢٣)

وزُبَـدٌ ماتِعةٌ، تحوي الإجابةَ المثلجةَ المفيدةَ حولَ مسألةٍ طال حولَها الجَـدَلُ قديمـاً وحـديثاً، وهي مسألةُ: صفاتِ الباري ـ سبحانه ـ وما يتعلَّق بهـا إثبـاتاً ونفياً، دبَّجَتها يراعةُ جهبذٍ نِحريرٍ، بمذاهبِ المللِ والنِّحَلِ بصيرٌ، وبأحوالِ السَّلَف خبيرٌ، فأَودَعَ فيها مِن الفوائدِ صُنوفاً، ورَصَّ العلمَ فيها صُفوفاً، وحَلَّاها بدررِ الأشعارِ، وصَحيحِ الأخبارِ، وهُوَ في ذلك كلِّه ينقلُكَ بأُسلوبٍ ماتعٍ، وتحريرٍ مُلَخَّصٍ وجيزٍ، ينبو عن أساليبِ التقعيرِ، ويُدرِكُه الصغيرُ والكبيرُ، فدونَك هذه «التحفة»، فليس الخبرُ كالمعاينةِ.

لكن أبى الله أن يُتِمَّ إلا كتابَهُ، فلذلك عمدنا إلى تحقيقها ونشرِها بين المسلمين، لينتفـعَ بها القاصي والداني، ويؤوبَ الغالي والقالي إلى مذهب السلفِ.

وكان عملنا كما يأتي:

١ ـ ضَبطنا نصَّها.

٢ ـ علَّقْنا بما رأيناه مناسباً على بعضِ المواطنِ.

٣ ـ نَبَّهنا على المواطن التي تعثر قلم المصنف فيها، فحادَ عن الجادَّةِ شيئاً قليلاً.

٤ ـ ترجمنا الأحاديثَ التي جاءت فيها.

٥ ـ وترجمنا للمصنِّف ـ رحمه الله ـ والأعلامِ الذين وردَ ذكرُهم فيها.

٦ ـ عزوْنا الآياتِ القرآنيةَ إلى مظانِّها في كتابِ الله ـ عزَّ وجل.

٧ ـ صَنَعْنـا فهـارسَ للآياتِ القـرآنيةِ، والأحـاديثِ النَّبـويةِ،

والأعلامِ المُتَرجَمِ لهم ولِمضامينِ الكتابِ، والفوائد المهمة فيه.

ونرجو الله أن نكون قد نهجنا نهجَ السلامةِ، وأن لا يكونَ عملُنا في الدُّنيا ملامةً، وفي الآخرةِ ندامةً، فمن وجد في عملنا تقصيراً، فلا يألُ جهداً في النُّصحِ لنا، فإنَّنا أُذنٌ واعيةٌ، وكفى بربِّك بعبادِه خبيراً بصيراً.

وكتبه المحققان
يومَ الأحد لثمان ليال خلون من ربيع الأول
سنة ألف وأربع مئة وسبع من هجرة محمد بن عبدالله ﷺ

□□□

ترجمة المصنف رحمه الله

عرَّف الشـوكاني ـ رحمه الله ـ بنفسِهِ وبآبائِه وموطِنِه والأحداثِ المهمَّةِ في حياتِه في كتابِه «البدرُ الطالعُ»، فمِن الخير أن نُثْبِتَ ما أرادَه بتنسيقٍ وتصرُّفٍ وزيادةٍ من مصادرَ أخرى.

□ **نَسَبُهُ ونِسْبَتُه:**

هو محمد بن عليٍّ بن محمد بن عبدالله بن الحسنِ، وقد ساق نسبَهُ إلى آدم ـ عليه السلام ـ في ترجمة والدة علي بن محمد (١ / ٤٧٨).

لكنَّه انتسبَ إلى هجرةِ شوكان، فقال (١ / ٤٨٤):

«وهذه الهجرةُ معمورةٌ بأهلِ الفضلِ والصلاحِ والدينِ من قديمِ الزمانِ، لا يخلو وجودُ عالمٍ منهم في كلِّ زمن...».

قلنا:

إلى هذا المجتمعِ العلميِّ انتسبَ الشوكاني ـ رحمه الله ـ وهو ارتفاعٌ إلى قمَمِ المجدِ، وتنبيهٌ على الأصالةِ التي يجبُ أن تُقَدَّرَ.

□ **مولِدُه:**

وُلِـدَ ـ رحمـه الله ـ يوم الاثنين في الثـامن والعشرين من شهرِ

ذي القعدةِ، سنة ثلاثٍ وسبعين ومائة وألفٍ في هجرةِ شوكان.

□ بيئته:

وُلِـدَ في بيتٍ أعانهُ على طلبِ العلمِ منذُ نعومَةِ أظفارِهِ، فقد حَفِظَ القرآنَ وجَوَّدَهُ، كما حفظَ الكثيرَ مِن المُتونِ والمُختصراتِ في فنونٍ متعدِّدةٍ قبل عهدِ الطلبِ.

□ طلبُهُ للعلمِ:

تتلمـذَ ـ رحمـه الله ـ على أجلَّةِ شيوخِ اليمن، وكان لا يكتفي بدراسةِ الكتابِ، بل يتتبعُ شيوخَهُ حتى يستفرغَ ما عندَهـم من مادةٍ، كما فعل بـ «شرحِ الأزهارِ»، حيثُ قرأهُ على أربعةٍ مِن مشايخِه.

ولم يغادر الشوكاني صنعاءَ طلباً للعلم، لأسباب ذكرَها (٢ / ٢١٨).

وتَصَـدَّر الإفتاءَ وهو في سنِّ العشرين[1]، وجلسَ إليه التلاميذ

---

(١) وفي هذا أعـظم العبر لمن يلوي لسانه بالطعن في طلبة العلم لحداثة سنهم دونما تقوى أو ورع، منكراً عليهم طلب العلم والبحث والتدقيق، ورحم الله أبا الطيِّب القائل:

فمـا الحـداثـةُ من حلمٍ بمـانعةٍ قد يوجدُ الحلمُ في الشُّبَّانِ والشيبِ

ولقد قال الفيروزآبادي في ديباجة «قاموسه» (ص ٣٧):

«بل زعم الشامتون بالعلم وطلابه، والقائلون بدولة الجهل وأحزابه، أن الزمن بمثلهم لا يجود، وأن وقتاً قد مضى لا يعود!

فردَّ عليهم الدهرُ مراغماً أنوفهم، وتَبَيَّنَ الأمر بالضِّدِّ جالباً حتوفهم، فطلع صُبحُ النُّجحِ مِن آفاق حسن الاتِّفاق». =

ينهلونَ مِن بحرٍ لا تُكدِّرُهُ الدِّلاءُ، فكانت تبلغُ دروسُه في اليومِ والليلةِ نحو ثلاثة عشر درساً في فنونٍ شتى.

فكــان ـ رحمـه الله ـ معـطاءً، ينفقُ ممـا رزَقَـهُ الله مِن العلمِ والفهمِ، لم يحتجبْ عن طلبةِ العلمِ، ولم يمنعْهُ التأليفُ عن ذلك!

□ شيوخُهُ:

عدَّد الشوكاني ـ رحمه الله ـ ثلاثةَ عشر شيخاً درس عليهم، وهم:

١ ـ والدُه ـ رحمه الله.

٢ ـ عبد الرحمن بن قاسم المداني.

٣ ـ أحمد بن عامر الحدائي.

٤ ـ أحمد بن محمد الحرازي.

= وقال الحريري في «مقاماته»:

«وقد يبلغ الطالع شأو الضليع، ويُعَدُّ في جملة العقلاء المتعاقل الرقيع».

وقد نقل المصنف ـ رحمه الله ـ هذه الجملة، مستحسناً لها، في مقدمة «نيل الأوطار».

وفي المقابل نبتت نابتة، لم تملك من العلم غايته أو آلته، فاجترأت على الفتيا في الدين كله، وجَسَرت على التصنيف في العقيدة والسنة، واقتحمت معاقل علماء الأمة، فمضغت لحومهم تحت راية بعث تراثهم، وتحقيق كتبهم.

فيا قومنا اربعوا على أنفسكم، فإن غاية العلم أن يورث صاحبه تقوى الله، وآلته الحديث والأصول واللغة.

ولذلك؛ فإن الصحوة العلمية تحتاج إلى ترشيد وتجريد؛ ترشيد في النوعية، وتجريد النية، والله أعلم.

٥ ـ إسماعيل بن الحسن بن أحمد.

٦ ـ عبدالله بن إسماعيل الهتمي.

٧ ـ القاسم بن يحيى الخولاني.

٨ ـ الحسن بن إسماعيل المغربي.

٩ ـ عبدالقادر بن أحمد.

١٠ ـ هادي بن إسماعيل القاراني.

١١ ـ عبدالرحمن بن حسن الأكوع.

١٢ ـ علي بن إبراهيم بن علي.

١٣ ـ يحيى بن محمد الحوثي.

□ مؤلفاتُه:

يُعدُّ الشوكاني من المكثرين، وقد امتازت مؤلفاتُهُ بالأسلوبِ الماتع، المنصاعِ للحجةِ والدليلِ والبرهانِ، ومنها:

١ ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.

٢ ـ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار.

٣ ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.

٤ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير.

٥ ـ البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع.

٦ ـ الفوائد المجموعة. وغيرها كثير.

□ وفاتُه:

توفَّاهُ الله ـ تعالى ـ يومَ الأربعاء في السادس والعشرين من

جمادى الآخرة، سنة خمسين ومائتين وألف من الهجرة، رحمه الله، وأسكنَه الفردوسَ الأعلى، وجمعنا وإياهُ في مستقرٍّ رحمتِه.

□ مصادِرُ ترجمتِهِ:

١ ـ «البدر الطالع» (٢ / ٢١٤)، للمصنف.

٢ ـ «أبجد العلوم» (٣ / ٢٠١)، لصدِّيق حسن خان.

٣ ـ «هدية العارفين» (٦ / ٣٦٥)، للبغدادي.

٤ ـ «الرسالة المستطرفة» (ص ١١٤)، للكتاني.

٥ ـ «معجم المؤلفين» (١١ / ٥٣)، لعمر رضا كحَّالة.

٦ ـ «التاج المكلل» (ص ٣٠٥)، لصديق حسن خان.

٧ ـ «المجدِّدون في الإسلام» (ص٤٧٢)، لعبدالمتعال الصعيدي.

٨ ـ «فهرس الفهارس» (٢ / ٤٠٨)، للكتاني.

٩ ـ «إيضاح المكنون» (١/ ١١، ١٥، ٢٠، ٥٨)، للبغدادي.

١٠ ـ «نيل الوطر» (٤ / ٤٤٧)، لزبارة.

١١ ـ «طبقات فقهاء اليمن» (ص ٢٢)، للبجلي.

١٢ ـ «الأعلام» (٦ / ٢٩٨)، للزركلي.

١٣ ـ «درر الحور العين» (١١ / ٥٣)، للجَحّاف الصنعاني.

١٤ ـ «سيرة الهادي» (ص ٩١)، للذِّماري.

١٥ ـ «الديباج الخسرواني» (ص ٢٥٧)، لحسن بن أحمد عاكش.

١٦ ـ «التبريز في تراجم العلماء ذوي التمييز» (ص ٣٥)، للجُندار.

تنبيهاتُ لابُدَّ منها

□ التنبيه الأول

معنى قول العلي الأعلى: ﴿في السماءِ﴾، أي: فوقَ السماء على العرش، لأن العربَ تضعُ (في) بموضعِ (على)، كما في قوله ـ تعالى: ﴿فَسِيحُوا في الأرضِ﴾ [التوبة: ٢]، وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ أيضاً حكاية عن فرعون: ﴿ولأُصَلِّبَنَّكُم في جُذوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، ومعناهُ: على الأرض، وعلى النخلِ.

وهذا ما ذهبَ إليه عدولُ هٰذه الأمَّةِ ـ الذين ينفونَ عن ميراثِ النُّبوَّة تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلينَ، وتأويلَ الجاهِلين ـ كابن عباس كما في «زاد المسير» (٨ / ٣٢٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٣١، ٥٣٤، ٥٣٧)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣ / ٥٢ ـ ٥٣ و ٥ / ٦٩، ١٠٦، ٢٥٨ و ١١ / ١٠١، ١٠٨)، وابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٢٨٦)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧ / ١٣٠)، وأبي الحسن الأشعري في «الإبانة» (ص ١٠٦ ـ ١٠٧)، وابن جرير الطبري في «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢٩ / ٦)، وغيرهم.

وقد زعمَ بعضُ الغالين الذي يحرِّفون الكَلِمَ عن مواضِعه من بعدِ

ما عَقَلوهُ، أنَّ المرادَ بهذهِ الآيةِ ملائكةَ العذابِ أو خاسفَ قُرى قومِ لوطٍ.

وهذا التحريفُ باطلٌ من وجوه:

١ ـ أن الآية جاءت بصيغةِ المفردِ، ولم تأتِ بصيغةِ الجمعِ؛ فإن قيل: قد ثبتَ إطلاقُ الجمعِ على المفردِ، كقوله تعالى: ﴿إنَّا نَحنُ نَزَّلْنا الذِّكرَ وإنَّا لهُ لَحافِظونَ﴾ [الحجر: ٩].

قلنا: هذا صحيح، لكن لا يصح إطلاق المفرد على الجمع، فتدبر!

٢ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يُطلق لفظ: ﴿أأَمِنْتُم﴾ في كتابه الكريم إلا كان المقصودُ بذلك هو الله لا أحد غيره من مخلوقاتِهِ.

قال تعالى: ﴿أفَأَمِنَ الذينَ مَكَروا السَّيِّئاتِ أن يَخْسِفَ بهمُ الأرضَ أو يأْتِيَهُم العذابُ من حيثُ لا يشعُرونَ﴾ [النحل: ٤٥].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرى أنْ يأْتِيَهم بأسُنا بَياتاً وهُم نائِمونَ . أَوْ أَمِنَ أهلُ القُرى أنْ يأتيَهُم بأسُنا ضُحىً وهُم يَلْعَبونَ . أفأَمِنوا مَكْرَ الله فلا يأمَنُ مَكْرَ الله إلا القومُ الخاسِرونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩].

فهذه الآياتُ البيِّناتُ نَصٌّ قاطعٌ على أنَّ المقصودَ بالتخويفِ هو الله وحدَه لا إله إلا هو، وسِعَ كلَّ شيء علماً ورحمةً.

٣ ـ قوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿أأَمِنْتُم مَن في السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بكُم الأرضَ فإذا هِي تَمورُ . أم أَمِنْتُم مَن في السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عليكُم حاصِباً فَسَتَعْلَمونَ كيفَ نَذيرٌ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

يفسِّرُه قول الله ـ عز وجل: ﴿وإذا مَسَّكُم الضُّرُّ في البحرِ ضلَّ مَن تَدعـونَ إلاَّ إيَّاهُ فلمَّـا نجَّاكُم إلى البرِّ أَعْرَضْتُم وكانَ الإنسانُ كَفوراً . أَفَأَمِنْتُم أَنْ يَخْسِفَ بكُم جانِبَ البَرِّ أَو يُرْسِلَ عليكُم حاصِباً ثم لا تَجِدُوا لكُم وَكيلاً . أَم أَمِنْتُم أن يُعيدَكُم فيهِ تارةً أُخرى فيُرسِلَ عليكُم قاصِفاً مِن الريحِ فيُغْرِقَكُم بما كَفَرْتُم ثمَّ لا تَجِدوا لكُم علينا تَبيعاً﴾ [الإسراء: ٦٧ ـ ٦٩].

ولـذلـك قَرَنَ بينهمـا العـلامةُ ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ في كتابه المستطاب «تأويل مشكل القرآن» (ص ٥٤٦)، ثم قال: «هكذا قال المفسرون، وهي كذلك عند أهلِ اللغةِ في المعنى، وإنْ كانوا يفرِّقونَ بينَهما في الأماكن».

وجَمَعَ بينَهما كذلك الحافظُ المفسرُ ابن كثيرٍ ـ رحمه الله ـ في «تفسير القرآن العظيم» (٤ / ٤٢٥)، فقال: «﴿أَم أَمِنْتُم مَن في السماءِ أَنْ يُرْسِلَ عليكُم حاصِباً﴾، أي: ريحاً فيها حَصباءُ تَدمغُكُم، كما قال تعالى: ﴿أفأَمِنْتُم أن يخْسِفَ بكُم جانِبَ البرِّ أَو يُرْسِلَ عليكُم حاصِباً ثم لا تَجِدُوا وَكيلاً﴾، وهكذا توعَّدَهم بقوله: ﴿فسَتَعْلَمونَ كيفَ نَذِير﴾، أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلَّفَ عنه، وكذَّب به».

وهـذا الجمـعُ بينَ آيِ الكتابِ العزيزِ يبطِلُ تأويلَ الجاهلين، ويدمغُ تحريفَ الغالين، الذين زعموا أن مرادَ الحقِّ سبحانه بـ ﴿مَن في السماءِ﴾ الملائكةُ، ومنهم خاسفُ سدوم.

واعلم أيهـا الأخُ ـ أيَّدَكَ الله بروحٍ منـه ـ أن مَن زَعَم أن هذه الآياتِ تعني الملائكةَ، فكأنَّما جعل قولَه تعالى: ﴿وإذا مَسَّكُم الضُّرُّ

في البحرِ ضلَّ مَن تَدعونَ إلا إيَّاهُ﴾، عائدٌ على الملائكةِ أيضاً، وهذا مظِنَّةُ الشركِ لا ريب، جزاءً وفاقاً لمن أعرضَ عن فهمِ كتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ بفهم السلف الصالحِ ـ رضي الله عنهم.

٤ ـ أنَّ قولَه تعالى: ﴿أنْ يُرسِلَ عليكُم حاصِباً﴾ دليلٌ على أنَّ الله هُو الذي يُرسلُ الحاصبَ، فلا يصحُّ أن تكونَ الملائكةُ هي المرسِلَةُ، لأنها مُرْسَلَةٌ، ومَن استقرأَ كلمةَ (أرسل) ومشتقاتِها في آي الكتاب المجيد، وجَدَها تذكُرُ أنَّ الله ـ سبحانه ـ هو الذي يُرسلُ الريحَ والحاصِبَ والطوفانَ والرجزَ من السَّماءِ... إلخ.

ولن تجد آيةً واحدة في كتابِ الله يذكُرُ ربُّ العزَّة ـ سبحانه ـ فيها أنَّ الملائكةَ يُرسلونَ العذابَ إلى النَّاسِ!

٥ ـ أنَّ آياتِ الترهيبِ مِن عذابِ الله المبثوثةِ في كتابِ الله لا تَدعو النَّاسَ إلى الخوفِ مِن غيرِ الله، بل تُحَذِّرُهم أن يفعلوا ذلك، سواءً أكانَ ملكٌ مقرَّبٌ، أو نَبيٌّ مرسلٌ، قال تعالى: ﴿فلا تَخْشَوْهُم واخْشَوْني﴾ [البقرة: ١٥٠]، ولذلك مدَحَ المؤمنين فقال: ﴿ولا يَخْشَوْنَ أحداً إلا الله﴾ [الأحزاب: ٣٩].

فقل لي بربِّك: كيف يستقيمُ ذلك مع زَعم الزاعمين أنَّ معنى ﴿مَن في السماءِ﴾ الملائكةُ، ويعنونَ بذلك أنَّ الله يُخوِّف عبادَه من مَلائكَتِه؟!

□□□

□ التنبيه الثاني

ذَكَرَ الشوكاني ـ رحمه الله ـ في نهايةِ «تحفته» أنَّ تفسير المعيةِ بالعلمِ شعبةٌ من شعب التأويل الذي ذمَّه السَّلَف؛ فخالَف السلف.

ولكن، أيها القارىء الكريم، لا تهولنَّك هذه المخالفةُ، فإنَّها كبوةُ قلم، وهفوةُ عالمٍ، ولعلَّ الشوكاني ـ رحمه الله ـ لم يقف على أقاويل السَّلَف في هذه الآياتِ عن تحريرِ الجوابِ، وإلا لما قالَ ما قال.

ومما يقوِّي هذا الوجه أنَّ الشوكاني ـ رحمه الله ـ ذهبَ إلى القولِ بأنَّ هذه المعيةَ معيةُ العلمِ في تفسيره الموسوم بـ «فتح القدير»، فقال (٥ / ١٦٦):

«﴿وهُو مَعَكُم أينَما كنتُم﴾، أي: بقدرتِه، وسلطانِه، وعلمِه».

وقال (٥ / ١٧):

«ومعنى ﴿أينما كانوا﴾، إحاطةُ علمِه بكلِّ تناجٍ يكونُ منهم في أيِّ مكانٍ مِن الأمكنة».

ويزدادُ قوةً إذا عُلِم أنَّ «فتح القدير»، أُلِّف بعد هذه الرسالةِ؛ يُستَنْبَطُ ذلك مِن كلامِ الشوكاني على مؤلَّفاتِه في ترجمتِه التي كتَبَها

لنفسِه في «البدر الطالع»، فقد ذكر (٢ / ٢٢١): «رسالة على مسائل لبعض علماء الحجاز»، ضمنَ مؤلفاتِه، فلعَلَّها التي بين يديك، كما هو واردٌ في السؤالِ الذي في صَدْرِها.

ثم ذَكَرَ (٢ / ٢٢٢) أنه أثناء كتابةِ الترجمةِ يجمع تفسيراً لكتابِ الله، جامعاً بين الدراية والرواية. . ».

ناهيك أنَّ هذا التفسيرَ ليس تأويلاً كتأويلِ الخلف، بل هو صميمُ مقتضى اللغةِ العربيةِ؛ لأن لفظ «مع» لا يقتضي في لغةِ العربِ أن يكون أحدُ الشيئين مختلطاً بالآخرِ، ومَن زَعَمَ غير ذٰلك، فقد أُوجَبَ ما لا توجِبُه اللغةُ، وخالَفَ ما فَطَرَ الله عليهِ الخلقَ، فهذا القمرُ موضوعٌ في السماء، وهو مع المسافرِ وغيرِ المسافرِ أينما كان!

وقد يدخُلُ على الصبي مَن يُخيفُهُ فيُشرِفُ عليه أبوهُ من فوقِ السقفِ، قائلاً: لا تخف، أنا معك، أو أنا هنا، أو أنا حاضرٌ، ينبِّهه على المعيةِ الموجبةِ بحكمِ الحالِ لدفعِ المكروهِ.

وقد يقال: ما زِلنا نسيرُ والشمسُ معنا، أو النجمُ معنا، ويقال: هذا المتاعُ معي، وإن كان فوقَ رأسك.

وذٰلك أنَّ كلمةَ «مع» في اللُّغةِ إذا أُطلِقَتْ فليس ظاهرُها في اللغةِ إلا المقارنةِ من غيرِ وجوبِ مماسةٍ أو محاذاةٍ، فإذا قُيِّدتْ بمعنىً مِن المَعاني، أُطلِقَتْ على المقارنةِ في ذلك المعنى، ففَرْقٌ بين معنى المعيةِ ومقتضاها، وربما صار مُقتَضاها مِن مَعناها؛ فيختلفُ باختلافِ المَواضِعِ.

إنَّ لفظ «مع» قد استُعمل في الكتابِ والسُّنَّةِ في مواضعَ يقتضي في كلِّ موضعٍ أموراً لا يقتضيها في المواطنِ الأخَر، فإمَّا تختلفُ دلالتُها بحسبِ موضِعِها، أو تدُلُّ على قدرٍ مشتركٍ بين جميعِ مواردِها، وإن امتازَ كلُّ موضعٍ بخاصيَّةٍ، وعلى كلا التقديرين ليس مُقتضاها الاختلاطُ والمماسةُ حتى يقال: صُرفت عن ظاهِرِها!

إنَّ لفظَ «مع» جاء في القرآنِ عامًّا وخاصًّا، أما «العام» فقولُه تعالى: ﴿يعْلَمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يَخْرُجُ منها، وما يَنْزِلُ مِن السَّماءِ وما يَعْرُجُ فيها وهُو مَعَكُم أينَما كُنْتُم والله بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وقال أيضاً: ﴿أَلَم تَرَ أنَّ الله يعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ ما يكونُ مِن نَجْوى ثلاثةٍ إلا هُو رابعُهم ولا خَمْسَةٍ إلا هُو سادِسُهم ولا أَدنى مِن ذٰلك ولا أكثر إلا هُو معهُم أين ما كانُوا ثمَّ يُنَبِّئُهُم بما عَمِلوا يومَ القِيامَةِ إنَّ الله بكُلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وأما «الخاص» ففي قولِه تعالى: ﴿إنَّ الله معَ الذين اتَّقَوا والذينَ هُم مُحْسِنونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقولِه: ﴿قال كَلَّا فاذْهَبا بآياتِنا إنَّا مَعَكُم مُسْتَمِعونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، وقولِه: ﴿إذْ يَقولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنا﴾ [التوبة: ٤٠]، فلو كان معنى «مع» أنَّه بذاتِه في كلِّ مكانٍ؛ كما زَعَمَ الخَلَفُ، لتناقَضَ الخبرُ الخاصُّ والعامُّ.

إنَّ الخلَفَ يعمَدونَ إلى ضربِ آياتِ الله ببعضِها، ليتسنى لهم تأويل ما قَصَّرَتْ عقولُهم عن فهمِه بدعوى التوفيقِ بين الآياتِ.

ولا يَحْسَبَنَّ أحدٌ أنَّ شيئاً من ذٰلك يناقضُ بعضُه بعضاً ألبتةَ ، فإنَّ حكمَ المعيةِ في كلٍّ بحسبِه ، فهُو معَ الخلقِ بعلمِه وقدرتِه وسطانِه ؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ افتَتَح آياتِ المعيةِ العامَّةِ بالعلمِ وخَتَمَها به ، فكان السياقُ والسباقُ يدلَّانِ على أنَّه أرادَ العلمَ .

وهذا ما قرَّرَه أئمة الهدي الذين سبقونا بالعلم والإيمان :

١ ـ قال الصِّدِّيقُ الثاني والعالـم الرَّبَّاني أحمد بن حنبل الشيباني في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ٥٢) :

«باب ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى : ﴿ما يَكونُ مِن نَجْوى ثلاثةٍ إلا هُو رابِعُهم ولا خمْسَةٍ إلا هُو سادِسُهم﴾ الآية .

قالوا : إنَّ الله ـ عزَّ وجل ـ معنا وفينا .

فقلت : لم قطعتم الخبـرَ من أولهِ ، إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول : ﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ الله يعلَم ما في السَّماواتِ والأرضِ ﴾ ، فأخبرَ ـ جلَّ ثناؤه ـ أنَّــه يعلمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ ، ثمَّ قالَ : ﴿ما يكونُ مِن نَجْوى ثلاثةٍ إلا هُو رابِعُهم﴾ ، يعني بعلمه رابعُهم ، ﴿ولا خمسةٍ إلا هو﴾ ؛ يعني : الله بعلمِهِ ﴿سادسُهم . ولا أدنى مِن ذلك ولا أكثرَ إلا هُو معهُم﴾ ، يعني : بعلمِه فيهم ، ﴿أينما كانوا ، ثم ينبِّئُهم بما عَمِلوا يومَ القيامَةِ إنَّ الله بكل شيءٍ عليمٍ﴾ ، يفتتحُ الخبرَ بعلمِه ، ويختمُ الخبرَ بعلمِه . . . » أ . هـ .

٢ ـ قال الدارمي في «الردِّ على الجهميةِ» (ص ١٩) :

«فاحتَجَّ بعضُهم فيه بكلمةِ زندقةٍ ـ أستوحشُ مِن ذكرِها ـ وتَستَّر

آخرُ مِن زندقَةِ صاحبِه، فقال: قال الله تعالى: ﴿ما يَكونُ مِن نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هُو رابعُهم ولا خمسةٍ إلا هُو سادسُهم ولا أَدنى مِن ذلكَ ولا أَكْثَرَ إلا هُو معَهُم أيْنَما كانوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بما عَمِلوا يومَ القيامَةِ إنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

قلنا: هذه الآية لنا عليكم، لا لكم، إنما يعني أنه حاضرٌ كلَّ نجوى، ومع كلِّ أحدٍ من فوقِ عرشِهِ بعلمِهِ لأن علمَهُ بهِم محيطٌ، وبصرَهُ فيهم نافِذٌ، لا يحجُبُه شيءٌ عن علمِهِ وبصرِهِ، ولا يتوارون منه بشيءٍ، وهو بكمالِه فوقَ العرشِ بائنٌ من خلقِه ﴿يعلَمُ السِّرَّ وأَخْفى﴾ [طه: ٧]، أقربُ إلى أحدهم من فوقِ العرشِ من حبلِ الوريد، قادرٌ على أن يكونَ لهُ ذلك؛ لأنه لا يَبعُد عنه شيء، ولا تخفى عليه خافيةٌ في السَّماواتِ والأرضِ، فهو كذلك رابعُهُم وخامسُهُم وسادِسُهُم، لا أنَّه معهم بنفسِه في الأرض، كما ادَّعيتم، وكذلك فسَّرتْهُ العلماءُ.

فقال بعضُهم: دعونا مِن تفسير العُلماء، إنَّما احتججنا بكتابِ الله فأتوا بكتاب الله.

قلنا: نعم، هذا الذي احتججتم به هو حقٌّ، كما قال الله ـ عز وجل ـ وبها نقولُ على المعنى الذي ذكرنا، غير أنَّكم جهِلْتُم معناها، فضَلَلْتُم سواءَ السبيل، وتعلقتُم بوسطِ الآيةِ، وأغفَلْتُم فاتِحتَها وخاتِمَتَها؛ لأن الله افتَتَحَ الآيةَ بالعلمِ بهِم وختَمَها بهِ... ففي هذا دَليلٌ على أنَّه أرادَ العلمَ بهم وبأعمالِهم، لا أنَّه نفسهُ في كلِّ مكانٍ معهُم كما زَعَمْتُم، فهذه حجَّةٌ بالغةٌ لو عَقِلْتُم» أ. هـ.

٣ ـ وقال الآجري ـ رحمه الله ـ في «الشريعة» (ص ٢٨٨): «فإن قال قائلٌ: فأيش معنى قولِه: ﴿ما يكونُ مِن نجوى ثلاثةٍ إلا هُو رابعُهُم ولا خَمسةٍ إلا هو سادِسُهم﴾ الآية التي بها يحتجُّون؟

قيل له: علمُه ـ عزَّ وجل ـ والله على عرشِه وعلمُه محيطٌ بهِم، وبكلِّ شيءٍ خَلَقه، كذا فسَّرَه أهلُ العلمِ، والآيةُ يدُلُّ أوَّلُها وآخرُها على أنَّه العلمُ.

فإن قال قائلٌ: كيف؟

قيل: قال الله ـ عزَّ وجل: ﴿أَلَم تَرَ أنَّ الله يعلَم ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ ما يكونُ مِن نَجْوى ثلاثةٍ إلا هُو رابعُهُم ولا خَمسةٍ إلا هو سادِسُهم ـ إلى قوله ـ ثمَّ يُنَبِّئُهُم بما عَمِلوا يومَ القِيامَةِ إنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فابتدأ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الآية بالعلمِ وخَتَمَها بالعلمِ فعلمُهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ محيطٌ بجميعِ خلقِهِ وهُو على عرشِهِ، وهذا قولُ المسلمين» أ. هـ.

قلت: وإلى مثل أقوال هؤلاء الأئمة ذهبَ البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٤١)، و «الاعتقاد» (ص ٧٢)، وابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٨٢)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧ / ١٣٨ ـ ١٣٩)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٧ / ١٢٤ و ٢٨ / ١٠)، وعلي بن المديني كما في «العلو» للذهبي (ص ١٢٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨ / ١٦١ و ١٨٨)، والشوكاني في «فتح القدير» (٥

/ ١٦٦ و ١٨٧)، وغيرهم كثير، لو جمعنا أقوالهم لبلغت مئتين أو أكثرَ.

وكذلك، فإنَّ الله يخُصُّ بعضَ عباده كالأنبياء والمتقين بالنَّصْرِ والإعانة والتأييد.

قال الإمام أحمد في «الرد على الجهمية» (ص ٥٤): «باب بيان ذكـر الله في القرآن ﴿وهو معكُم﴾، وهذا على وجوهٍ، قال جلَّ ثناؤه لمـوسى: ﴿إنَّني معكُمـا﴾، يقول في الدفعِ عنكُما. وقال: ﴿ثانيَ اثنينِ إذْ هُما في الغارِ إذ يَقولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَن إنَّ الله مَعَنا﴾، يقول: يعني في الدفعِ عنَّا. وقال: ﴿كَمْ مِن فِئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كَثيرةً بإذنِ الله والله مَعَ الصابرينَ﴾، يقول: في النصر لهم على عدوهم، وقال: ﴿ولا تَهِنوا وتَدْعوا إلى السَّلْمِ وأنتُمُ الأعلَوْنَ والله معكُم﴾، في النصر لكم على عدُوِّكم. وقـال: ﴿ولا يَسْتَخْفـونَ مِن الله وهُو معهُم﴾، يقول: بعلمـه فيهم، وقـال: ﴿فلمّا تراءَى الجَمْعانِ قالَ أصحابُ مُوسى إنَّا لمُدْرَكُونَ . قال كَلَّا إنَّ مَعِيَ ربِّي سَيَهْدينِ﴾، يقول: في العون على فرعون». أ. هـ.

فمن أراد تفسير «المعية» فلينظر إلى السياق والسباق، لأنهما من المقيِّدات.

ولله درُّ القائل:

تَدَبَّـرْ كَلامَ اللـهِ واتَّبِـعِ الخَبَـرْ
ودَعْ عنـكَ رَأْياً لا يُلائِمُـهُ الأثَـرْ

وصدق مَن قال:

وهٰـذا الـحـقُّ لَيسَ بهِ خفـاءٌ

فدَعْـنِـي مِنْ بُنَـيَّاتِ الـطَّريقِ

□□□

□ التنبيه الثالث

معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحمٰنُ على العرشِ اسْتَوى﴾، أي: علا وارتفع، وقد زعم المعطِّلون أن استوى معناه استولى، وهو فاسد.

١ ـ ليس في كلام العرب ألبتة استوى بمعنى استولى، ولا نقله أحدٌ من أئمة اللغة الذين يُحْتَجُّ بهم، ويُعوَّل على قولهم، بل المنقول عنهم بالإسناد الصحيح الصريح، أنهم أنكروا ذلك غايةَ الإنكارِ.

فقد أخرجَ الخطيبُ البغداديُّ في «تاريخه» (٥ / ٢٨٣)، واللالكائي في «شرح أصولِ اعتقادِ أهلِ السنَّة والجماعةِ» (٣٩٩) بسند صحيح عن ابن الأعرابي ـ وهو إمامٌ في اللغة ـ رحمه الله:

«أرادَني ابنُ أبي دُؤاد أن أطلبَ لهُ في بعضِ لُغاتِ العربِ ومعانيها: ﴿الرحمٰنُ على العرشِ استوى﴾ [طه: ٥]، استوى بمعنى استولى.

فقلت له: والله ما يكونُ هذا، ولا وَجَدتُه».

ولذلك قال ابنُ الجوزي في «زاد المسير» (٣ / ٢١٣):

«وهذا منكَرٌ عندَ اللُّغويِّينَ».

ومِن قبله ابن عبد البَر قال في «التمهيد» (٧ / ١٣٧):

«وقولُهُم في تأويلِ استوى: استولى، فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهرٍ في اللغةِ».

٢ ـ وهٰذا المعنى الفاسدُ إنَّما قالَه مُتأخِّرو النُّحاةِ الذين سلَكُوا سبيلَ المُعتَزِلَةِ والجهميةِ، ومع ذلك، لم يقولوه نقلاً، وإنما قالوه استنباطاً وحملاً منهم لكلمةِ استوى على استولى، بقول الشاعر:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ
مِن غَيْرِ سَيْفٍ أو دَمٍ مهرَاقِ

وهذا الحملُ لا يصحُّ من وجوه:

أ ـ هذا البيت ليس من شعر العرب؛ لأنه لم يأت نقلٌ صحيحٌ أنَّه شعرٌ عربيٌّ، وهو غيرُ معروفٍ في شيءٍ مِن دواوينِ العَربِ وأشعارِهم التي يُرجَعُ إليها.

ب ـ هذا البيتُ لا يُعرفُ له أصلٌ في التاريخِ، ولا يُعلم قائله، مما يدُلُّ على أنَّه مصنوعٌ للاحتجاجِ به.

ت ـ هذا البيتُ مُحَرَّفٌ وإنَّما أصلُه:

بِشْرٌ قَدِ اسْتَوْلَى عَلى العِراقِ
مِن غَيْرِ سَيْفٍ أو دَمٍ مهراقِ

٣ ـ لا يقال: استولى، إلا لمن له مضادٌّ، والله لا مضادَّ له.

عن نفطويه ـ إمام في النَّحْو ـ حدثنا داود بن علي قال: كُنَّا عند ابن الأعرابي، فأتاهُ رجلٌ، فقال: يا أبا عبدالله، ما معنى قوله تعالى: ﴿الرحْمٰنُ على العرشِ استوى﴾ [طه: ٥].

قال: هو على عرشِهِ كما أخبر.

فقال: يا أبا عبدِ الله، إنَّما معناه استولى.

فقال: اسكت، لا يقالُ استولى على الشيء حتى يكونَ لهُ مُضادٌّ، إذا غَلَبَ أحدُهُما قيل استولى، كما قال النابغةُ:

إلَّا لِمِثْلِكَ أو مَنْ أنتَ سابِقُهُ
سبقَ الجَوادِ إذا اسْتَوْلى على الأَمَدِ

أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٥ / ٢٨٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣٩٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٣)، والذهبي في «العلو» (ص ١٣٣)، وعزاهُ ابن حجر في «الفتح» (١٣ / ٤٠٦) إلى الهروي في كتابه «الفاروق»، وذكرهُ ابن منظور في «لسان العرب» (١٤ / ٤١٤).

وإسناده صحيح.

ومن لازم هذا القول في هذا المقام نسبةُ الشريكِ لله في خلقِهِ، يضادُّه في أمرِه، لأن الاستيلاء في اللغةِ لا يكونُ إلا بعدَ المغالَبَةِ، فإذا وَقَعَ الظُّفَرُ، قيل: استولى على كذا.

فنسألُ المأوِّلَةَ المُعَطِّلَةَ: مَن هو المُضادُّ لله حتَّى تمكَّنَ الله تعالى من التغلُّبِ عليه والاستيلاءِ على مُلْكِهِ منهُ؟!

وهذا إلزامٌ لا مناصَ منه إلا برفضِ التأويلِ والرجوعِ إلى تفسيرِ السَّلَفِ الصَّالحِ.

وقـد تَنَبَّهِ بعضُ المأوِّلَةِ إلى هذا المعنى، فتأوَّل الاستيلاءَ بأنَّه استيلاءٌ مجرَّدٌ عن معنى المُغالَبَةِ.

وهذا المعنى مخالفٌ للُّغةِ كما سبق، ولذلك هو تأويلٌ للتأويلِ.

وفي هذا بلاغٌ لمن خَضَـعَ للحق، وتلقَّـاهُ بقلبٍ سليمٍ، ومَن استكبرَ، وجمحتْ به الحَمِيَّةُ؛ فيستغني الله الحقُّ عنهُ، والله غنيٌّ حميدٌ.

انتهت هٰذه التنبيهات ـ بزيادةِ بيانٍ ـ مختصرة من كتاب «دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية» لسليم الهلالي، وهناك المزيد لمن يريد.

□□□

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ الأنامِ، وآلهِ الكرامِ، ورضيَ الله عن صَحْبهِ الأعلامِ.

وبعدُ:

فإنَّه وصَلَ سؤالٌ مِن بعضِ الأعلامِ الساكنينَ ببلدِ الله الحَرَامِ، وهذا لفظُه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم:

الحمدُ لله ربِّ العالَمينَ، ما يقولُ فُقَهاءُ الدينِ، وعُلماءُ المُحَدِّثينَ، وجماعةُ الموحِّدينَ، في آياتِ الصفاتِ وأخبارِها اللاَّتي نَطَقَ بها الكِتابُ العظيمُ، وأَفْصَحَتْ عنها سُنَّةُ الهادي إلى صراطٍ مستَقيمٍ؟

هل إقرارُها وإمرارُها وإجراؤها على الظَّاهِرِ بغيرِ تَكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تأويلٍ ولا تعطيلٍ[1] عقيدةُ المَوحِّدينَ، وتصْديقٌ بالكتابِ

---

(١) التكييفُ: هو أن يقال: الصفة على هيئة كذا، وكيفية كذا.
والتمثيلُ: هو تشبيه الخالق بالمخلوق.
والتأويلُ: صرفُ الصفة عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي.
والتعطيلُ: نفيُ أسماءِ الله وصفاته وتعطيلُها.

المبين، واتِّباعٌ للسَّلَفِ الصالحين؟ أو هذا مذهبُ المُجَسِّمين؟

وما حكمُ من أَوَّلَ الصفاتِ، ونفى ما وَصَفَ الله به نفسَهُ ووصَفَهُ به نبيُّه، وتأيَّد بالنُّصوص، واتَّفقَ عليهِ الخُصوصُ، مِن أنَّ الله سبحانه في[1] سمائِه، مُسْتَوٍ على عرشِهِ، بائنٌ[2] مِن خلقِه، وعِلْمُهُ في كُلِّ مكانٍ؟

والـدليلُ آياتُ الاستـواءِ والصعـودِ والـرفـعِ[3]، وقـولُه تعالى: ﴿أأمِنْتُم مَن في السَّماءِ﴾[4].

ومِن السنَّـــة حديثُ الجـــاريةِ[5].

---

(١) وهي بمعنى (على)، كمـا قال سبحانه حكاية عن فرعون: ﴿ولأصلِّبنَّكم في جذوعِ النخلِ﴾ [طه: ٧١]، وقال: ﴿قُل سيروا في الأرضِ﴾ [الأنعام: ١١].

والمعنى: على جذوع النخل، وعلى الأرض، كما تقدم في «تنبيهات» (ص ١٩ - ٢٢).

(٢) أي: منفصل، وانظر «الاعتقاد» (١١٢ - ١١٩)، للبيهقي.

(٣) الاستواء: كقوله تعالى: ﴿الرحمٰن على العرشِ اسْتوى﴾ [طه: ٥].

والصعود: كقوله: ﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

والرفع: كقوله تعالى: ﴿بل رَفَعَهُ الله إليهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

(٤) سورة الملك: ١٦.

وانظر «تنبيهات» (ص ١٧ - ٢٢).

(٥) حديث الجارية: هو سؤال النبي ﷺ لجارية معاوية بن الحكم السُّلَمي «أين الله؟».

فقالت: في السماء.

=

والنـــزولِ[1].

وعمـرانَ بن حُصَين[2].

وقولُه ﷺ: «ألا تأمَنوني وأنا أمينُ مَن في السَّماءِ»[3].

= فقال ﷺ: «أعتقها، فإنها مؤمنة».

رواه مسلم (١ / ٣٨١)، وغيره، وله طرق وشواهد تجدها في كتاب «دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية»، تأليف: سليم الهلالي.

(١) حديث النزول: هو قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ثم يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟».

رواه البخاري (٣ / ٢٩)، ومسلم (١ / ٥٢١)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة، يجزم الواقف على أحاديثهم أن حديث النزول متواتر.

(٢) حديث عمران بن حصين: هو سؤال النبي ﷺ لحصين والد عمران:

«كم تعبد اليوم إلٰهاً؟».

قال: سبعة؛ ستة في الأرض، وواحد في السماء.

قال: «فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟».

قال: الذي في السماء.

رواه الترمذي (٣٤٨٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٠/ ١)، وعلقه في «خلق أفعال العباد» (ص ٣٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٢٤).

وسنده ضعيف.

(٣) رواه البخاري (٨ / ٦٧)، ومسلم (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه.

وغيرُ ذلك من الآيات المتواترةِ، والأحاديث المتكاثِرةِ[1].

وأوَّلَ الآياتِ، وجعَلَ الاستواءَ استيلاءً[2]، وأوَّلَ النزولَ بالرحمةِ، وهٰكذا جعل التأويلَ عليه مَطْرَدَةً في سائرِ نُصوصِ الصفاتِ، وعاشَ في ظلام العقلِ في الجهلِ والشُّبُهات، وإذا قيل له: أينَ الله؟ أجاب بأنه لا يُقالُ: أين الله؟ الله لم يكن له مكانٌ[3]، كما هو جوابُ فريقِ[4] المضلِّينَ.

فهل هذا جوابُ الجهميِّين والمَريسيِّينَ[5] وأَضِلَّاء المتكلِّمين، أم

---

(١) كذا الأصل، ولعل الصواب قلبها، فيقال: من الآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة.

(٢) انظر «تنبيهات» (ص ٣١).

(٣) انظر دحض هذه الشبهة في كتاب «دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية» تأليف: سليم الهلالي.

(٤) في الطبعة المنيرية: فريقي، وفي الطبعة المدنية: فريق.

(٥) الجهميون: نسبة إلى جهم بن صفوان، وهو الذي أخذ مقالة التعطيل من الجعد بن درهم، ونشرها.
انظر «الفتوى الحموية» (ص ٩٥) لابن تيمية رحمه الله.
والمريسيون: نسبة إلى بشر المريسي، وهو رأس من رؤوس القائلين بخلق القرآن من المتكلمين، وصفه الذهبي في «الميزان» (١ / ٣٢٢) بقوله:
«مبتدع، ضالّ، ولا ينبغي أن يُروى عنه، ولا كرامة...».
ثم قال:
«ولم يدرك الجهم بن صفوان، وإنما أخذ مقالته، واحتج لها، ودعا إليها».
انظر «مسائل أحمد» (ص ٢٦٩) رواية أبي داود، و«السنة» (ص ٣٧) للإمام عبدالله بن أحمد.

اختيارُ عُلماءِ السُّنِّيينَ؟

أفيدونـا بجـوابٍ رجـاءَ الثـواب يوم تأتي كلُّ نفسٍ تجادلُ عن نفسِهـا، فإنَّ هذا المقامَ طالَ فيهِ النزاعُ، وحارَتْ فيهِ الأفهامُ، وزَلَّتِ الأقـدامُ، وكُـلٌّ يدَّعي الصـوابَ بزُخْـرُفِ الجـوابِ، فأَبينوا المُدَّعى بالدليلِ، وبَيِّنوا طريقَ الحقِّ بالتفصيلِ والتطويلِ، ضاعَفَ الله لكم الأجورَ، ووقاكُم الشُّرورَ، والسلام عليكم ورحمة الله.

وأقــولُ: اعْلَمْ أنَّ الكـلامَ في الآياتِ والأحـاديثِ الـواردةِ في الصِّفاتِ قد طالَتْ ذيولُهُ، وتشعَّبَتْ أطرافُه، وتناسبتْ فيه المذاهبُ، وتفاوتَتْ فيه الطرائقُ، وتخالَفَتْ فيه النِّحَلُ[1].

وسببُ هٰذا: عدمُ وقــوفِ المُنْتَسِبينَ إلى العلمِ حيثُ أوقَفَهم الله، ودخولُهم في أبوابٍ لم يأذَنِ الله لهم بدخولِها، ومحاولتُهم لعلمِ شيءٍ استـأْثَـرَ الله بعلمِـه، حتى تفرَّقوا فِرَقاً، وتشعَّبوا شعباً، وصاروا أحـزابـاً، وكـانوا في البـدايـةِ ومحاولةِ الوصولِ إلى ما يتصوَّرونه من العامَّةِ، مُخْتَلفي المقاصد مُتَبايِني المطالب:

فطائفةٌ ـ وهي أخفُّ هذه الطوائفِ المتكلِّفةِ علمَ ما لم يُكَلِّفها الله سبحانه بعلمِه إثماً وأقَلُّها عقوبةً وجُرْماً ـ وهي التي أرادَتِ الوصولَ إلى الحقِّ، والـوقـوفَ على الصـوابِ، لكنْ سلكَتْ في طريقةٍ متوعِّرةٍ، وصعدَتْ في الكشفِ عنه إلى عقَبَةٍ كَؤودٍ[2]، لا يرجِع مَن سلَكَها سالماً

---

(١) المذاهب.

(٢) طريق وعر شاقّ المصعد.

فضلاً أن يَظْفَرَ فيها بمطلوبٍ صحيحٍ .

ومع هٰذا، أصَّلوا أصولاً ظنُّوها حقاً[1]، فدفعوا بها آياتٍ قرآنيةً وأحاديثَ صحيحةً نبويةً، واعتلُّوا في ذلك الدفعِ بشبَهٍ واهيةٍ، وخيالاتٍ مختَلَّةٍ، وهٰؤلاء هم طائفتان :

الطَّائفة الأولى : هي الطائفةُ التي غلتْ في التنزيهِ، فوصلَتْ إلى حدٍّ يقشعِـرُّ عندَه الجلدُ، ويضطربُ له القلبُ، من تعطيلِ الصفاتِ الثابتةِ بالكتابِ والسنَّة ثبوتاً أوضحَ مِن شمسِ النهارِ، وأظهرَ من فَلَقِ الصبحِ ، وظَنُّوا هذا مِن صنيعِهم مُوافقاً للحقِّ، مُطابقاً لما يُريدُه الله سبحانَه، فضلُّوا الطريقَ المستقيمَ، وأضلُّوا مَن رام سلوكَها.

والطائفةُ الأخرى: هي غَلَتْ في إثباتِ القدرةِ غلوًّا بلغَ إلى حدِّ أنـه لا تأثيرَ لغيرِهـا، ولا اعتبـارَ بما سواها، وأفضى ذلك إلى الجبرِ المحْضِ ، والقسرِ الخالصِ[2]، فلم يبقَ لبعثِ الرسلِ وإنزالِ الكتُبِ كثيرَ فائدةٍ، ولا يعودُ ذٰلك على عبادِه بعائدٍ .

وجـاؤوا بتـأويلاتٍ للآياتِ البيِّنـاتِ، ومحـاولاتٍ لحُجَـجِ الله الواضحاتِ، فكانوا كالطائفةِ الأولى في الضلالِ والإضلالِ ، مع أنَّ كلا المقصِدَيْنِ صحيحٌ ، ووجهُ كُلٍّ منهُما صبيحٌ ، لولا ما شانَه من الغلوِّ

---

(١) كما فعل الرازي في «تأسيسه» وقـد نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ببضعة مجلدات كبيرة النفع ، عظيمة الفائدة .

(٢) للإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ كتاب عظيم في هذه المسألـة هو: «شفاء العليل» .

القبيحِ[1].

وطائفةٌ توسَّطت، ورامتِ الجمعَ بين الضَّبِّ والنُّونِ[2]، وظنَّتْ أنها وقفَت بمكانٍ بين الإفراطِ والتفريطِ.

ثم أخذَتْ كلُّ طائفةٍ من هذه الطوائفِ الثلاثِ تُجادِلُ وتناضِلُ، وتُحقِّق وتُدقِّق في زعمِها، وتجولُ على الأخرى وتصولُ بما ظَفَرَتْ ممَّا يوافقُ ما ذهَبَتْ إليه ﴿وكُلُّ حزْبٍ بما لَدَيْهِم فَرِحُونَ﴾[3]، وعند الله تلتقي الخصومُ.

ومع هذا، فهم متَّفِقونَ فيما بينَهم على أنَّ طريقَ السلفِ أسلمُ، ولكنْ زَعموا أنَّ طريقَ الخلفِ أعلمُ[4]، فكان غايةُ ما ظَفَروا بهِ مِن هٰذهِ

---

(١) فالنية الحسنة لا تسوغ عمل السوء، ولا تجعل الاعتقاد المنكر صحيحاً، ورحم الله عبدالله بن مسعود القائل في هذا المعنى: «كم من مريد للخير لن يبلغه»، كما أخرجه الدارمي (١ / ٦٨)، وغيره بسند صحيح، يُنظر تخريجه في «إحكام المباني..» (٥٣)، تأليف: علي حسن علي عبدالحميد.

(٢) الضَّبُّ: حيوانٌ معروفٌ، والنُّون: الحوت.

(٣) سورة الروم: ٣٢.

(٤) هذه الأعلمية ثالثة الأثافي التي استقر عليها مذهب المعطلة، فقد حشروا آيات الصفات في زمرة المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ـ عز وجل، ثم قالوا: يسعنا ما وسع أهل العلم من السلف الصالح، فنَكِلُ معرفة معانيها، وتحقيق المراد منها، إلى الله، فنسبوا خير القرون إلى الجهل، ولما رأوا أن هذا المذهب لا ينفق في سوق العلم والمجادلة، قالوا: مذهب السلف أسلم، لكن مذهب الخلف أعلم وأحكم.

قلنا: وهذه المقالة التي هي في غاية الضلالة باطلة من وجوه: =

الأعلميَّةِ لطريقِ الخلفِ أنْ تمنَّى محقِّقوهُم وأذكياؤهم في آخِرِ أمرِهم دينَ العجائزِ، وقالوا: هنيئاً للعامَّةِ[1]!

فتـــدبَّـــر هذه الأعلميَّة التي حاصلُهـا أن يهنِّيء مَن ظَفِـرَ بهـا للجاهلِ؛ لأهل الجهلِ البسيطِ، ويتمنَّى أنه في عِدادِهم، وممَّن يدينُ بدينِهم، ويمشي على طريقِهم، فإنَّ هذا ينادي بأعلى صوتٍ، ويدلُّ بأوضـحِ دِلالةٍ على أنَّ هذه الأعلميَّةَ التي طلبوها؛ الجهلُ خيرٌ منها بكثيرٍ، فما ظنُّكَ بعلمٍ يُقِرُّ له صاحبُه على نفسِه أنَّ الجهلَ خيرٌ منه، وينتهي عند البُلوغِ إلى غايتِه والوصولِ إلى نهايتِه أنْ يكون جاهلاً به،

= أ ـ لقد فصل الخلف بين السلامة والعلم والحكمة، وهل العلم والحكمة إلا أساساً للسلامة التي تسير في ركاب العلم، وتجرُّ أذيالها وراء الحكمة؟ فكيف تجيزُ العقول التفريق بين السبب ونتيجته؟ إن هذا لشيء محال!

ب ـ كيف يكـون الخالفون أعلم بالله من خير القرون؟ وهل الخيرية إلا في العلم والحكمة؟!

ت ـ أي علم وحكمة في مذهب تبرأ منه رؤوسه، وأعلن أقطابه خطأه وزيفه، وأقرُّوا على أنفسهم بالحيرة؛ لأنه كثُر في باب الدين اضطرابُهم، وغَلُظَ عن معرفة الله حجابُهم.

ث ـ ولقـد أُتي الخالفون في هذا الباب من جهلهم بمذهب السلف، حيث زعموا أن خيرِ القرون مُفَوِّضَةٌ كما وضحه شيخ الإسلام في «الحموية» (١ / ٤٢٥ ـ ٤٢٩ ـ الرسائل الكبرى)، والعلامة السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (١ / ٢٥).

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل» (١ / ١٦٠) لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله.

عاطلاً عنهُ.

ففي هذا عِبرةٌ للمعتبِرينَ، وآيةٌ للناظرينَ، فهلاَّ عملوا على جهلِ هذه المعارفِ التي دخلوا فيها بادىء بدءٍ، وسَلِموا مِن تَبِعاتِها، وأراحوا أنفسَهُم مِن تَعَبِها، وقالوا كما قال القائلُ:

أَرَى الأمْرَ يُفْضِي إلى آخِرٍ
يُصَيِّرُ آخِرَهُ أَوَّلاً

وربحوا الخُلوصَ مِن هذا التَّمَنِّي، والسلامة مِن هذه التهنئةِ للعامَّةِ، فإن العاقلَ لا يتمنَّى رتبةً مثلَ رتبَتِهِ، أو دونَها، ولا يُهَنِّىء لمَن هو دونَه أو مثلَه، ولا يكونُ ذلك إلا لمَن رتبَتُه أرفعُ مِن رتبتِه، ومكانُه أعلى مِن مكانِه.

فيا لله العجبُ مِن علمٍ يكونُ الجهلُ البسيطُ أعلى رتبةً منهُ، وأفضلَ مقداراً بالنسبةِ إليهِ، وهل سمِعَ السامعونَ مثلَ هذه الغريبةِ، أو نقَلَ الناقلونَ ما يُماثِلُها أو يُشابِهها؟!

وإذا كانَ حالُ هذه الطائفةِ التي قد عَرَّفناكَ أخَفَّ هذه الطوائفِ تكلُّفاً، وأقلَّها تَبِعَةً، فما ظنُّك بما عَداها من الطوائفِ التي قد ظهرَ فسادُ مقاصِدِها، وتبيَّنَ بطلانُ مواردِها ومصادرِها؛ كالطَّوائِفِ التي أرادتْ بالمظاهِرِ التي تظاهَرَتْ بهِ إكبارَ الإسلامِ وأهلِهِ، والسَّعْيَ في التشكيكِ فيهِ بإيرادِ الشُّبَهِ وتقريرِ الأمورِ المُفْضِيَةِ إلى القدْحِ في الدينَ، وتنفيرِ أهلِهِ عنه؟!

وعند هذا تعلمُ أنَّ:

خَيْرَ الأمورِ السَّالِفاتُ عَلى الهُدَى
وشَـرَّ الأمورِ المُحْدَثاتُ البَدَائعُ[1]

وأنَّ الحقَّ الـذي لا شَكَّ فيهِ ولا شُبهـةَ، هو ما كانَ عليهِ خيرُ القرونِ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[2].

وقـد كانـوا ـ رحمهم الله وأرْشَـدَنـا إلى الاقتداءِ بهِم والاهتِداءِ بهَدْيِهم ـ يُمِرُّونَ أدلَّةَ الصفاتِ على ظاهِرِها[3]، ولا يتكلَّفونَ علمَ ما لا يعلمونَ، ولا يتأوَّلونَ.

وهٰذا المعلومُ مِن أقوالِهم وأفعالِهم، والمتقرِّرُ مِن مذاهِبهم، لا يشكُّ فيه شاكٌّ، ولا ينْكِرُه منكِرٌ، ولا يُجادِلُ فيهِ مُجادِلٌ، وإنْ نَزَغَ بينَهم نازِغٌ، أو نَجَمَ في عصرِهم ناجمٌ؛ أوْضَحوا للناسِ أمرَه، وبيَّنوا لهم أنَّه على ضلالةٍ، وصرَّحوا بذٰلك في المجامع والمحافل، وحذَّروا الناسَ مِن بدعتِه[4]؛ كما كان منهم لمَّا ظهر معبَدُ الجُهَنيُّ[5] وأصحابهُ، وقالوا: إنَّ الأمرَ أُنفٌ[6]، وبيَّنوا ضلالَتَه، وبطلانَ مقالتِه للناسِ، فحَذَروهُ، إلا

(١) نَسَبَه غير واحد للإمام ابن حزم الأندلسي ـ رحمه الله.

(٢) قد ورد عن النبي ﷺ قوله: «خير الناس قرني، ثم . . .».
رواه البخاري (٥ / ١٩١)، ومسلم (٢٥٣٣)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه.

(٣) بما تقتضيه معرفة اللغة العربية على الوجه اللائق به ـ سبحانه وتعالى.

(٤) انظر رحمك الله نهجهم في نقض المبتدعين، وقارنه بما يُشَنْشِنُ به «بعضهم» في الكلام على اللين والتساهل. . . و. . و. . إلخ.

(٥) المتوفى سنة (٨٠ هـ) ترجمته في «التهذيب» (١٠ / ٢٢٥)، وانظر للأهمية «البداية والنهاية» (٩ / ٣٤).

(٦) «صحيح مسلم» (رقم ٨)، وأُنُف: أي مستأنف، لم يسبق به قدر ولا علم من =

مَن خَتَمَ الله على قلبِه، وجعَلَ على بصرِه غِشاوةً.

وهٰكـذا كان مَن بعـدَهم يوضِـحُ للنـاسِ بطلانَ أقـوالِ أهلِ الضلالِ، ويُحَذِّرُهم منها، كما فعَلَهُ التابعونَ رحمِهُم الله بالجَعْدِ بن دَرْهَم[1]، ومن قال بقوله، وانتحل نِحْلَتَه الباطلةَ.

ثم ما زالـوا هٰكـذا لا يستطيعُ المبتدعُ في الصِّفاتِ أن يتظاهَرَ ببـدعتِـه، بل يكتمـونَهـا كمـا تَتَكَتَّم الـزنادقةُ بكُفْرِهـم، وهٰكذا سائر المبتدعينَ في الدينَ، على اختِلافِ البِدَعِ، وتفاوتِ المقالاتِ الباطلةِ.

ولكنَّا نقتصرُ ها هنا على الكلامِ في هٰذه المسألةِ التي وَرَدَ السؤالُ عنها، وهي مسألةُ الصفاتِ، وما كان من المتكلِّمين فيها بغيرِ الحقِّ، المتكلِّف علمَ ما لم يأذَنِ الله بأن يعْلَموهُ، وبيانِ أنَّ إمرارَ أدلةِ الصفاتِ على ظاهِـرِهـا هو مذهبُ السَّلَفِ الصـالـحِ من الصحـابةِ والتابعينَ وتـابعيهم، وأنَّ كُلَّ مَن أرادَ مِن نُزَّاعِ المتكلِّفينَ، وشُـذَّاذِ المُحْدَثينَ والمتأوِّلين أن يُظهِرَ ما يُخالِفُ المرورَ على ذٰلك الظاهرِ، قاموا عليه، وحَذَّروا الناسَ منه، وبيَّنوا لهم أنَّه على خلاف ما عليه أهلُ الإسلامِ.

وسائرُ المبتدعينَ في الصِّـفاتِ القائلونَ بأقوالٍ تُخالفُ ما عليهِ السوادُ الأعظمُ من الصحابةِ والتابعينَ وتابِعيهـم في خبايا وزوايـا لا يتَّصِلُ بهم إلا مغرورٌ، ولا ينخدِعُ بزخارفِ أقوالِهم إلا مخدوعٌ، وهم مع

= الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه.

(1) المتوفى نحو سنة (118 هـ) ترجمته في «لسان الميزان» (2 / 105).

ذلك على تخوُّف مِن أهلِ الإسلامِ ، وترقُّبٍ لنزولِ مكروهٍ بهم مِن حُماةِ الدِّينِ مِن العُلَماءِ الهادينَ ، والرُّؤساءِ والسَّلاطين ، حتى نَجَمَ ناجِمُ المحنةِ ، وبَرَقَ بارِقُ الشرِّ مِن جهة العبَّاسيَّة[1] ومَن لهم في الأمرِ والنهيِ والإصدارِ والإيرادِ أعظمُ صولةٍ ، وذلك في الدولةِ بسبب قاضيها أحمد بن أبي دُؤاد[2] ، فعند ذلك أطلَعَ المنكّسونَ في تلك الزوايا رؤوسَهم ، وانطلقَ ما كان قد خَرِسَ مِن ألسنتِهم ، وأعلنوا بمذاهِبِهم الزائفةِ ، وبدَعِهم المضِلَّةِ ، ودَعَوُا الناسَ إليها ، وجادَلوا عنها ، وناضلوا المخالفينَ لها ، حتى اخْتَلَطَ المعروفُ بالمنكرِ ، واشتَبَهَ على العامَّةِ الحقُّ بالباطِلِ ، والسنَّةُ بالبدعةِ .

ولمَّا كان الله سُبحانه قد تكفَّل بإظهارِ دينِه على الدينِ كُلِّه[3] ، وبحفظهِ عن التحريفِ والتغيير[4] والتبديلِ ، أوجدَ من عُلماءِ الكتابِ والسنةِ في كل عَصْرٍ من العصورِ[5] مَن يبيِّنُ للناسِ دينَهم ، ويُنْكِرُ على

---

(١) في محنة القول بخلق القرآن التي ثبت فيها ربانيو الأمة أمام سوط البدعة ، فنصر الله بهم الإسلام .
راجع تفاصيلها في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٣٠٨ وما بعدها) ، وانظر لزاماً «النجوم الزاهرة» (٢ / ٣٠٠ ـ ٣٠٢) .

(٢) المتوفى سنة (٢٤٠ هـ) ترجمته في «تاريخ بغداد» (٤ / ١٤١ ـ ١٥٦) ، وفيه قصته في فتنة القول بخلق القرآن .

(٣) ﴿هُو الذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدى ودين الحقِّ ليظهرَهُ على الدينَ كلِّه﴾ [التوبة : ٣٣] .

(٤) ﴿إنَّا نحنُ نزَّلْنا الذكرَ وإنَّا لهُ لحافِظونَ﴾ [الحجر : ٩] .

(٥) انظر طائفة كبيرة من أسمائهم ومآثرهم في رسالة «مكانة أهل الحديث» لأخينا =

أهلِ البدعِ بدعَهُم، فكان لهم ـ ولله الحمد ـ المقاماتُ المحمودةُ، والمواقفُ المشهودةُ، في نَصْرِ الدينِ، وهَتْكِ المبتدعين.

وبهذا الكلامِ القليلِ الذي ذَكَرْنا، تعرفُ أنَّ مذهبَ السَّلَفِ من الصحابةِ رضي الله عنهم والتابعينَ وتابِعيهم هو إيرادُ أدلَّةِ الصفاتِ على ظاهِـرها، من دون تحريفٍ لها، ولا تأويلٍ متعسِّفٍ لشيءٍ منها، ولا جَبْر، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ يُفضي إليه كثيرٌ من التأويلِ.

وكانوا إذا سألَ سائلٌ عن شيءٍ من الصفاتِ تَلَوْا عليهِ الدليلَ، وأمسكوا عن القالِ والقيلِ، وقالوا: قال الله هٰكذا، ولا ندري بما سوى ذٰلك، ولا نتكلَّفُ ولا نَتَكَلَّمُ بما لم نَعْلَمْهُ، ولا أذِنَ الله لنا بمجاوزَتِه، فإنْ أرادَ السائلُ أن يظفرَ منهم بزيادةٍ على الظاهرِ زَجَروهُ[1] عن الخوضِ فيما لا يَعْنيهِ، ونَهَوْهُ عن طَلَبِ ما لا يُمْكِنُ الوصولُ إليهِ إلا بالوقوعِ في بدعةٍ من البدعِ التي هي غيرُ ما هم عليهِ، وما حَفِظوهُ عن رسولِ الله ﷺ، وحفظَهُ التابِعونَ عن الصحابةِ، وحفِظَهُ مَن بعدَ التابعينَ عن التابعينَ.

وكـان في هذه القـرونِ الفاضلةِ الكلمةُ في الصفاتِ مُتَّحِدَةً، والطريقةُ لهم جميعاً مُتَّفِقَةً، وكان اشتغالُهم بما أمَرَهُم الله بالاشتغالِ

= الشيخ ربيع بن هادي ـ حفظه الله.

(١) كما في قصة صَبيغ بن عِسل لما كان يسأل عمر ـ رضي الله عنه ـ عن بعض متشابه القرآن، فأمر ـ رضي الله عنه ـ بضربه مئة سوط.

وانظر «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٥٢ ـ ٥٣) للصابوني ـ رحمه الله ـ بتحقيق أخينا بدر البدر.

به، وكلَّفهم القيامَ بفـرائضهِ من الإيمان بالله، وإقام الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والصيامِ، والحجِّ، والجهادِ، وإنفاقِ الأموالِ في أنواعِ البرِّ، وطلَبِ العلمِ النافعِ، وإرشادِ الناسِ إلى الخير على اختِلافِ أنواعِهِ، والمحافظةِ على مُوجِباتِ الفوز بالجنةِ، والنَّجاةِ من النارِ، والقيامِ بالأمرِ بالمعـروفِ، والنَّهْيِ عن المنكَـرِ، والأخـذِ على يَدِ الظالمِ بحسبِ الاستـطاعـةِ، وبمـا تَبْلُغُ إليهِ القـدرةُ، ولم يشتَغِلوا بغيرِ ذلك ممَّا لم يُكَلِّفْهُم الله بعلمِه، ولا تَعَبَّدَهُم بالوقوفِ على حقيقتِه.

فكانَ الدينُ إذ ذاك صافياً عن كَدَرِ البدعِ، خالصاً عن شَوْب قَذرِ التمذْهُب، فعلى هذا النَّمَطِ كان الصحابةُ رضي الله عنهم، والتابعون، وتابعوهم، وبهَدْيِ رسولِ الله ﷺ اهتدَوا، وبأفعالِهِ وأقوالِهِ اقتَدَوا.

فمَن قال: إنَّهم تلبَّسـوا بشيءٍ من هٰذه المـذاهبِ الناشئةِ في الصِّفاتِ أو غيرِها. فقد أعظَمَ عليهِم الفِرْيَةَ، وليس بمقبولٍ في ذلك، فإنَّ أقوالَ الأئمةِ المُطَّلِعينَ على أحوالِهم، العارفينَ بها، الآخذينَ عن الثِّقـاتِ الأثباتِ، يَرُدُّ عليه، ويدفعُ في وجهِه، يعلمُ ذٰلك كلُّ مَن له علمٌ، ويعرفُهُ كلُّ عارفٍ.

فاشْـدُدْ بذٰلـك على هذا، واعلمْ أنه مذهبُ خيرِ القرونِ، ثم الـذينَ يلونَهم، ثم الذينَ يلونَهم، ثم الذينَ يلونَهم[1]، ودَعْ عنكَ ما

---

(١) كذا «الأصل» بزيادة قرن رابع.

وهي رواية عند أحمد في «مسنده» (٤ / ٢٦٧)، من طريق شيبان، عن عاصم، عن خيثمة، عن النعمان، فذكره.

وعنده أيضاً (٤ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، من طريق أبي بكر، عن عاصم، به. =

حَذَثَ من تلك التمذهُباتِ في الصِّفاتِ، وأرِحْ نفسَك مِن تلك العباراتِ التي جاءَ بها المُتَكَلِّمونَ، واصطَلَحوا عليها، وجَعَلوها أصلاً يَرُدُّ كتابَ الله وسنَّةَ رسولِ الله ﷺ، فإنْ وافقاها؛ فقد وافَقا الأصولَ المتقَرِّرَةَ في زعمِهم، وإن خالَفاها؛ فقد خَالفا الأصولَ المتقَرِّرَةَ في زعمِهم، ويجعلونَ الموافِقَ لها من قِسم المقبولِ والمُحْكَمِ، والمخالِفَ لها مِن قسمِ المردودِ والمتشابِهِ[1].

ولو جئتَ بألفِ آيةٍ واضحةِ الدِّلالةِ ظاهرةِ المعنى، أو ألفِ حديثٍ ممَّا ثبَتَ في «الصحيح»، لم يُبالوا بهِ، ولا رَفعوا إليهِ رؤوسَهم، ولا عدُّوهُ شيئاً.

ومَن كانَ مُنْكِراً[2] لهذا، فعليهِ بكُتُبِ هذه الطوائفِ المصنَّفةِ في علمِ الكلامِ، فإنه سيقِفُ على الحقيقةِ، ويُسَلِّمُ هذه الجملةَ، ولا يتردَّدُ فيها.

= قلنا: وللحديث طريقٌ أُخرى بالزيادة نفسها:

فقد رواه ابن حبان في «الثقات» (٨ / ١)؛ من طريق حماد بن سلمة، عن الجَريري، عن أبي نضرة، عن عبدالله بن مَوَلَة، عن بريدَة... وذكره.

وهذا سندٌ صحيح، فرواية حمَّاد عن الجَريري قبل الاختلاط.

وقال ابن حبان:

هذه اللفظة: «ثم الذين يلونهم» في الرابعة، تفرَّد بها حماد بن سلمة، وهو ثقة مأمون، وزيادةُ الألفاظ عندنا مقبولةٌ عن الثقات... إلخ.

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تفصيل قوي في هذه المسألة، أودعه رسالته: «الإكليل في المتشابه والتأويل» فانظره.

(٢) أي: غير مُصَدِّق للمصنف فيما يقوله عنهم.

ومِن العجبِ العجيبِ والنَّبَإِ الغريب أنَّ تلك العباراتِ الصادرةَ عن جماعةٍ مِن أهلِ الكلامِ، التي جَعَلَها مَن بعدَهم أصولاً لا مُسْتَنَدَ لها إلا مجردَ الدعوى على العقلِ، والفِرْيَةِ على الفطرةِ، وكلُّ فردٍ مِن أفرادِها قد تنازَعَتْ فيهِ عقولُهم، وتخالَفَتْ عندَه إدراكاتُهم، فهذا يقولُ: حكمُ العقلِ في هذا الكلامِ كذا، وهذا يقولُ: حكمُ العقلِ في هذا كذا[1]، ثم يأتي بعدَهم من يجعلُ ذلك الذي يعقلُه من تقلَّدَه ويقتدي به، أصلاً يرجِعُ إليهِ، ومِعْياراً لكلامِ الله تعالى، وكلامِ رسوله ﷺ، يَقْبَلُ منهما ما وافَقَهُ، ويَرُدُّ ما خالَفَهُ.

فيالله وللمسلمينَ، ويالعلماءِ الدينِ مِن هذه الفَواقِرِ[2] الموحِشَةِ التي لم يُصَبِ الإسلامُ وأهلُه بمثلِها.

وأغربُ مِن هذا وأعجبُ وأشنعُ وأفظعُ أنَّهم بعدَ أنْ جعلوا هٰذه التعقُّلاتِ التي تَعَقَّلوها على اختلافِهم فيها وتناقُضِهم في معقولاتِها أصولاً تُرَدُّ إليها أدِلَّةُ الكتابِ والسنةِ؛ جعلوها مِعْياراً لصفاتِ الربِّ تعالى، فما تَعَقَّلَهُ هٰذا مِن صفاتِ الله قالَ بِهِ جزماً، وما تعقَّلَهُ خصمُهُ

(١) فهم هكذا مضطربون... متناقضون... ولو أنهم ما حَكَّموا عقولهم، وجعلوها أساساً، لما وقعوا بهذه الحيرة، وهذا الاختلاف.
وهكذا نرى اليوم بين ظهرانينا من حاله كحال هؤلاء الذين يصفهم المصنف... وإن تغايرت منهاهجم، وتباينت طرائقهم!!
فالحمد لله الذي مَنَّ علينا بالمنهج الصحيح الذي يجعل الكتاب والسنة أصلاً ثابتاً راسخاً يستضاء به، ووفقنا بمعرفة فهم السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ لهٰذين الوحيين العظيمين.

(٢) جمع فاقرة وهي الداهية الشديدة.

منها قَطَعَ بهِ، فأثبتوا لله تعالى الشيءَ ونقيضَه اسْتِدْلالاً بما حَكَمَتْ به عقولُهم الفاسدةُ، وتناقَضَتْ في شأنِه، ولم يَلْتَفِتوا إلى ما وَصَفَ الله به نفسَهُ، أو وَصَفَهُ بهِ رسولُهُ ﷺ، بل إنْ وجدوا ذلك مُوافقاً لما تَعَقَّلوهُ جعلوه مؤيِّداً له ومقوِّياً، وقالوا: قد وَرَدَ دليلُ السَّمْعِ مُطابقاً لدليلِ العقلِ! وإن وجَدُوهُ مُخالفاً لما تَعَقَّلوهُ جعلوهُ وارداً على خِلافِ الأصلِ، ومُتَشابِهاً، وغيرَ مَعقولِ المعنىٰ، ولا ظاهرِ الدِّلالةِ!

ثمَّ قابَلَهم المخالفُ لهم بنقيضِ قولِهم، فافْتَرى على عقلِهِ بأنَّه قد تَعقَّلَ خلافَ ما تَعَقَّلَهُ خصمُهُ، وجَعَلَ ذلك أصلاً يَرُدُّ إليهِ أدلَّةَ الكتابِ والسنَّةِ، وجعَلَ المُتَشابهَ عندَ أولئكَ مُحْكماً عنده، والمخالِفَ لدليلِ العقلِ عندَهم مُوافقاً له عندَه؛ فكانَ حاصِلُ كلامِ هٰؤلاءِ أنَّهم يعلمونَ مِن صفاتِ الله ما لا يعلَمُهُ، وكفاك هذا! وليس بعدَهُ شيءٌ، وعندَه يتعثَّرُ القلمُ حياءً مِن الله سبحانَه وتعالى.

وربَّما استَبْعَدَ هذا مستبعدٌ، واستَنْكَرَهُ مُسْتَنْكِرٌ، وقال: إنَّ في كَلامي هٰذا مبالغةً، وتهويلاً، وتشنيعاً، وتطويلاً، وإنَّ الأمرَ أيسرُ مِن أنْ يكونَ حاصلُهُ هٰذا الحاصلَ، وثمرتُه مثلَ هٰذه الثمرةِ التي أشرتُ إليها!

فأقولُ: خُذْ جملَةَ البلوىٰ، ودَعْ تفصيلَها، واسمَعْ ما يصكُّ[1] سمعَكَ، ولولا هٰذا الإلحاحُ منكَ ما سمعتَه، ولا جرى القلمُ بمثلِهِ.

هذا أبو عليٍّ[2]، وهو رأسٌ مِن رؤوسِهم، وركنٌ مِن أركانِهم،

---

(١) يضرب ويصفع.

(٢) وهو الجُبَّائي رأس المعتزلة وكبيرهم المتوفى سنة (٣٠٣ هـ) ترجمته في «البداية والنهاية» (١١ / ١٢٥).

وأسطوانَةٌ من أسطُواناتِهم، قد حكى عنهُ الكبارُ، وآخِرُ مَن حكى عنه ذٰلك صاحبُ شرحِ «القلائدِ»[1]: «واللهِ لا يعلَمُ [اللهُ] مِن نفسهِ إلا ما يعلَمُ هُو»[2]، فخُذْ هذا التصريحَ حيثُ لم تَكْتَفِ بذٰلك التلويح، وانْظُرْ هٰذهِ الجرأةَ علىٰ الله سبحانَه وتعالى، التي ليسَ بعدَها جرأةٌ، فيالأمِّ أبي عليٍّ الويلُ، أنهيقٌ مثلُ هذا النهيقِ ويُدْخِلُ نفسَه في هٰذا المضيقِ؟ وهل سَمِعَ السامِعونَ بيمينٍ أفجَرَ مِن هٰذه اليمينِ الملعونَةِ؟ أو نَقَلَ الناقِلونَ كلمةً تُقارِبُ معنى هٰذه الكلمةِ المفتونةِ؟ أو بلَغَ مفْتَخِرٌ إلى ما بَلَغَ هٰذا المختالُ الفخورُ؟ أو وَصَلَ مَن يفجُرُ في أَيْمانِهِ إلى ما يُقارِبُ هذا الفجورِ؟

وكلُّ عاقلٍ يعلَمُ أنَّ أحدَنا لو حَلَفَ أنَّ ابنَه أو أباهُ لا يعلَمُ مِن نفسِهِ إلَّا ما يعلَمُه هو لكانَ كاذِباً في يمينِه، فاجراً فيها؛ لأنَّ كُلَّ فردٍ مِن الناسِ ينطوي على صفاتٍ وغرائزَ لا يُحِبُّ أنْ يَطَّلِعَ عليها غيرُهُ، ويكْرَهُ أنْ يَقِفَ على شَيءٍ منها سِواهُ، ومَن ذا الذي يَدْري بما يَجولُ في خاطِرِ غيرِه، ويَسْتَكِنُّ في ضميرِه، ومَنِ ادَّعى عِلْمَ ذٰلك وأنَّه يعلمُ مِن غيره من بني آدَمَ ما يعلَمُه ذٰلك الغيرُ مِن نفسِهِ ولا يعلمُ ذٰلك الغيرُ مِن نفسِهِ إلا ما يعلَمُه هٰذا المُدَّعي، فهو إمَّا مُصابُ العقلِ، يَهْذي بما لا يدري،

---

(١) هو المذكور في «إيضاح المكنون» (٢ / ٢٣٨) لأحمد بن يحيى بن مرتضى الزبيدي، ترجمه المصنف ـ رحمه الله ـ في «البدر الطالع» (١ / ١٢٢ ـ ١٢٦).

(٢) وشرح هذه المقولة الخاسرة: أن كل ما يعلمه الله يعلمه هذا الجُبَّائي!! عياذاً بالله تعالى.

ويتكلَّمُ بما لا يفهمُ، أو كاذبٌ شديدُ الكذبِ، عظيمُ الافتراءِ، فإنَّ هٰذا أمرٌ لا يعلمُه غيرُ الله سبحانَه، فهو الذي يَحولُ بينَ المرءِ وقلبِهِ وما تُوَسْوِسُ بهِ نفسُهُ، وما يُسِرُّ عبادُه، وما يُعْلِنونَ، وما يُظْهِرونَ، وما يَكْتُمونَ، كما أخْبَرَنا بذٰلك في كتابِه العزيزِ في غيرِ موضعٍ.

فقدْ خابَ وخَسِرَ مَن أثبَتَ لنفسِهِ مِن العلمِ ما لا يعلَمُهُ إلا الله مِن عبادِهِ، فما ظَنُّكَ مَن جاوَزَ هٰذا وتعدَّاهُ، وأقْسَمَ بالله سبحانَه أنَّ الله لا يعلَمُ مِن نفسِهِ هو إلا ما يعلَمُهُ هو؟

ولا يَصِحُّ لنا أنْ نَحْمِلَهُ على اختِلالِ العقلِ، فلو كانَ مجنوناً لم يكُنْ رأساً يَقْتَدي بقولِهِ جَماعاتٌ مِن أهلِ عصرِهِ، ومَن جاءَ بعدَه، وينقُلونَ كلامَه في الدَّفاتِرِ، ويَحْكونَ عنهُ في مقاماتِ الاختِلافِ.

ولعلَّ أتْباعَ هٰذا ومَن يَقْتدي بمذهبه لو قالَ لهم قائلٌ، وأوْرَدَ عليهم مُوْرِدٌ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا يُحيطونَ بهِ عِلْماً﴾[1]، وقولَه: ﴿ولا يُحيطونَ بشيءٍ مِن علمِهِ إلا بما شاءَ﴾[2]، وقال لهم: هذا يرُدُّ ما قالَ صاحِبُكم، ويدُلُّ على أنَّ يمينَه هذهِ فاجرةٌ مُفْتَراةٌ! لقالوا: هذا ونحوهُ ممَّا يدلُّ دلالَتَهُ ويفيدُ مفادَهُ، من المُتَشابِهِ الواردِ على خِلافِ دليلِ العقلِ، المدفوعِ بالأصولِ المُقَرَّرَةِ.

وبالجُمْلَةِ، فإطالةُ ذيولِ الكلامِ في مثلِ هذا المقامِ إضاعةٌ للأوقاتِ، واشْتِغالٌ بحكايةِ الخُرافاتِ المُبْكِياتِ لا المُضْحِكاتِ،

---

(١) سورة طه: ١١٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

وليسَ مقصودُنا ها هنا إلا إرشادَ السَّائلِ إلى أنَّ المذهَبَ الحقَّ في الصِّفاتِ هو إمْرارُها على ظاهِرِها من غيرِ تأويلٍ، ولا تحْريفٍ، ولا تَكلُّفٍ، ولا تعسُّفٍ، ولا جَبْرٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تَعْطيلٍ، وأنَّ ذٰلك هو مذهبُ السلَفِ الصالحِ مِن الصحابةِ والتابعينَ وتابعيهم.

فإنْ قلتَ: ماذا تريدُ بالتعطيلِ في مثلِ هٰذه العباراتِ التي تُكَرِّرها؟ فإنَّ أهلَ المذاهِبِ الإسلاميَّةِ يَتَنَزَّهونَ عن ذٰلك، ويتحاشَوْنَ عنه، ولا نُصَدِّقُ[1] معناهُ، ولا يُوجَدُ مدلولُه إلا في طائفةٍ مِن طوائفِ الكفَّارِ، وهُم المُنْكِرونَ للصَّانع!

قلتُ: يا هٰذا، إنْ كنتِ ممَّنْ له إلمامٌ بعلمِ الكلامِ الذي اصْطَلَحَ عليهِ طوائفُ مِن أهلِ الإسلامِ، فإنَّه لا محالَةَ قد رأيتَ ما يقولُهُ كثيرٌ منهُم، ويذْكُرونَه في مؤلَّفاتِهم، ويَحْكونَه عن أكابرِهم، أنَّ الله سبحانَه وتعالى تنزَّهَ وتقدَّسَ لا هو جسمٌ ولا جوهرٌ ولا عَرَضٌ ولا داخِلٌ في العالَمِ ولا خارجَهُ[2].

فأنْشُدُكَ الله، أيُّ عبارةٍ تبلُغُ مبلغَ هذه العبارةِ في النَّفْيِ؟ وأيُّ مبالغةٍ في الدلالةِ على هذا النَّفْيِ تقومُ مقامَ هذه المبالغَةِ؟

فكأنَّ هٰؤلاءِ في فِرارِهِم من شُبهَةِ التشبيهِ إلى هٰذا التعطيلِ كما قالَ القائلُ:

---

(١) في النسخ هكذا، ولعل الصواب يُصَدِّق.

(٢) كما تراه في «شرح جوهرة التوحيد» للبيجوري، وغيره.

فكُنْتُ كالسَّاعي إلى مَثْعَبٍ
مُوائِلاً مِنْ سُبُلِ الرَّاعِدِ[1]

أو: كالمُستَجيرِ مِن الرَّمضاءِ بالنارِ، والهارِبِ مِن لسعَةِ الزَّنْبورِ إلى لَدْغَةِ الحيَّةِ، ومِن قرصةِ النملةِ إلى قَضْمَةِ الأسدِ!

وقدْ يُغني هٰؤلاء وأمثالَهم مِن المتكَلِّمينَ المُتَكَلِّفينَ كلمتانِ مِن كِتابِ الله تعالى، وصَفَ بهِما نفسَهُ، وأنزَلَهما على رسولِهِ، وهما: ﴿ولا يُحِيطونَ بهِ عِلْماً﴾[2]، و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ﴾[3].

فإنَّ هاتينِ الكلمتَيْنِ قدِ اشْتَمَلَتا على فصلِ الخِطابِ، وتضَمَّنَتا بما يُعينُ أُولي الألبابِ السالِكينَ في تِلكَ الشِّعابِ، فالكلمةُ منها دَلَّتْ دلالةً بيِّنَةً على أنَّ كُلَّ ما تكلَّمَ بهِ البَشَرُ في ذاتِ الله وصفاتِهِ على وجْهِ التدقيقِ ودعاوى التحقيقِ، فهو مَشوبٌ بشعْبَةٍ مِن شُعَبِ الجهلِ، مخلوطٌ بخُلُوطٍ هي مُنافيةٌ للعلمِ، ومُباينةٌ لهُ، فإنَّ الله سبحانَه قد أخْبَرَنا أنَّهم لا يُحيطونَ بهِ عِلماً، فمَن زَعَمَ أنَّ ذاتَه كذا، أو صفتَهُ كذا، فلا شَكَّ أنَّ صحَّة ذٰلك مُتَوَقِّفَةٌ على الإحاطَةِ وقد نُفِيَتْ عن كُلِّ فردٍ من الأفرادِ عِلْماً.

فكُلُّ قولٍ مِن أقوالِ المُتَكَلِّمينَ صادرٌ عن جهلٍ: إمَّا مِن كُلِّ

---

(١) المثعب: هو الموضع الذي يسيل منه الماء، والموائل: طالب النجاة، وهو مَثَلٌ يُضرب لمن يهرب من الشيء، فيقع بما هو أشد منه.

(٢) سورة طه: ١١٠.

(٣) سورة الشورى: ١١.

وجهٍ، أو مِن بعضِ الوجُوهِ، وما صَدَرَ عن جَهْلٍ فهو مُضافٌ إلى جهلٍ، ولا سيَّما إذا كان في ذاتِ الله وصفاتِه، فإنَّ ذٰلك مِن المُخاطَرةِ في الدِّين ما لم يكن في غيرِه مِن المسائلِ، وهذا يعلمُهُ كُلُّ ذي علمٍ، ويعرفُهُ كُلُّ عارفٍ.

ولم يُحِطْ بفائدةِ هٰذه الآيةِ ويقفْ عندَها ويقتطِفُ مِن ثَمراتِها إلا المُمِرُّونَ الصِّفاتِ على ظاهِرها، المُريحونَ أنفسَهُم مِن التَّكَلُّفاتِ والتَعَسُّفاتِ والتأويلاتِ والتحريفاتِ، وهم السَّلَفُ الصالحُ - كما عَرَفْتَ - فهُم الذينَ اعْترفوا بالإحاطةِ[1]، وأوقَفوا أنفسَهم حيثُ أوقفَها الله، وقالوا: الله أعلمُ بكيفيَّةِ ذاتِه وماهيَّةِ صفاتِه، بل العِلْمُ كلُّهُ له، وقالوا كما قالَ مَن قالَ ممَّن اشْتَغَلَ بطلب هٰذا المُحالِ، فلم يَظْفَرْ بغيرِ القيلِ والقالِ:

العِلْمُ للرَّحْمٰنِ جَلَّ جَلالُهُ
وسِواهُ في جَهَلاتِهِ يَتَغَمْغَمُ
ما لِلتُّرابِ ولِلْعلومِ وإنَّما
يَسْعَى ليَعْلَمَ أنَّهُ لا يَعْلَمُ

بل اعتَرَفَ كثيرٌ مِن هٰؤلاءِ المتكَلِّفينَ بأنَّه لم يستَفِدْ مِن تَكَلُّفِهِ وعدَمِ قُنوعِه بما قَنَعَ بهِ السلَفُ الصالحُ إلا مُجَرَّدَ الحَيْرَةِ التي وَجَدَ عليها غَيْرَهُ مِن المُتَكَلِّفينَ، فقال[2]:

---

(١) أي: لله وحده.

(٢) هو الشهرستاني في كتابه «نهاية الإقدام في علم الكلام» (ص ٣)، نشر ألفرد جيوم.

[لقَدْ طفْتُ في تلكَ المَعَاهِدِ كُلِّها](1)
وسَرَّحْتُ طَرْفي بينَ تلكَ المَعالِمِ
فَلَمْ أَرَ إلا واضِعــاً كَفَّ حائِــرٍ
على ذقــنٍ أو قارِعــاً سِنَّ نادِمِ

وها أنا أُخبركَ عن نَفْسي، وأوضِحُ لك ما وَقَعْتُ فيه في أمْسي، فإنِّي في أيَّام الـطلبِ(2) وعُنْفُوانِ الشَّبابِ، شُغِلْتُ بهٰذا العلمِ الذي سَمَّوْه تارةً علمَ الكلامِ، وتارةً علمَ التوحيدِ، وتارةً علمَ أصولِ الدينِ، وأكْبَبْتُ على مُؤلَّفاتِ الطوائفِ المختلفةِ منهم، ورُمْتَ الرجوعَ بفائدةٍ، والعوْدَ بعائدةٍ، فلم أَظْفَرْ من ذٰلك بغيرِ الخَيْبَةِ والحَيْرةِ، وكان ذٰلك مِن الأسبـابِ التي حَبَّبَتْ إليَّ مذهَبَ السَّلَفِ، علِى أنِّي كنتُ قبلَ ذٰلك عليهِ، ولكنْ أردتُ أنْ أزدادَ منهُ بصيرةً، وبه شَغَفاً، وقلتُ عند ذٰلك في تلكَ المذاهبِ:

وغــايَةُ مَا حَصَّلْتُهُ مِن مَبـاحِثِي
ومِنْ نَظَري مِن بعدِ طُولِ التَّدَبُّرِ
هُوَ الوَقْفُ ما بينَ الطَّريقَيْنِ حَيْرةً
فمـا عِلْمُ مَن لَمْ يَلْقَ غَيْرَ التَّحَيُّرِ
على أنَّني قَدْ خُضْتُ مِنْـهُ غِمارَهُ
ومــا قَنَعَتْ نَفْسي بغَيْرِ التَّبَحُّــرِ

---

(1) زيادة من المصدر السابق.

(2) أي: طلب العلم الشرعي وتحصيله.

وأمَّا الكلمةُ، وهي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فبها يُستفادُ نفيُ المُماثَلَةِ في كلِّ شيءٍ، فيُدْفَعُ بهذهِ الآيةِ في وجه المُجَسِّمَةِ، وتعرفُ به الكلامَ عند وصفهِ سبحانه بالسميعِ البصيرِ، وعند ذكرِ السمعِ والبصرِ واليدِ والاستواءِ، ونحو ذلك ممَّا اشتَمَلَ عليهِ الكتابُ والسنَّةُ، فتُقَرِّر بذلك لتلك الصفاتِ لا على وجْهِ المماثَلَةِ والمُشابَهَةِ للمخلوقاتِ، فيَدْفَعُ بهِ جانبيِ الإفراطِ والتَّفْريطِ، وهما: المبالغَةُ في الإثباتِ[1] المُفْضِيَةُ إلى التجسيمِ، والمبالغةُ في النفي المُفْضِيَةُ إلى التعطيلِ، فيخرُجُ مِن بينِ الجانبينِ وغُلُوِّ الطرفينَ أَحَقِّيَّةُ مذهبِ السلفِ الصالحِ، وهو قولُهم بإثباتِ ما أثبتَه لنفسِه من الصِّفاتِ على وجهٍ لا يعلمُهُ إلا هو، فإنَّه القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ وهُو السَّميعُ البَصيرُ﴾.

ومن جُملةِ الصفاتِ التي أمرَّها السَّلَفُ على ظاهرِها، وأجْرَوْها على ما جاءَ بِهِ القرآنُ والسنَّةُ مِن دونِ تكلُّفٍ ولا تأويلٍ: صفةُ الاستواءِ، التي ذَكَرها السائلُ، يقولونَ: نحنُ نُثْبتُ ما أثبَتَه الله لنفسهِ مِن استوائِهِ على عَرْشِهِ على هَيْئةٍ لا يعلمُها إلا هو، وكيفِيَّةٍ لا يَدْري بها سِواهُ، ولا نُكَلِّفُ أنفسَنا غيرَ هذا، فليسَ كمثلِه شيءٌ؛ لا في ذاتِه، ولا في صفاتِه، ولا يحيطُ عبادُه به علماً.

وهكذا يقولونَ في مسألةِ الجهةِ[2] التي ذكَرَها السائلُ، وأشارَ إلى

---

(١) ولا تكون المبالغةُ هذه مبالغةً إلا إذا كانت بإثبات صفاتٍ لم يرد بها القرآن، أو لم تَصحَّ بها السنَّةُ، وإنما أوردها «بعضهم» بأقيسة عقلية، وآراء منطقية، وأما سوى هذا فلا يكون مبالغة، وهذا ما سيشرحُه المصنفُ بعدُ.

(٢) وجملة القول في الجهة: أنَّه إن أُريدَ بها أمرٌ وجوديٌّ غيرُ الله كان مخلوقاً، والله =

بعضِ ما فيهِ دليلٌ عليها، والأدلَّةُ في ذٰلك طويلةٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسنةِ.

وقد جَمَعَ أهلُ العلمِ منها، لا سيَّما أهلُ الحديث، مباحثَ طوَّلوها بذِكْرِ آياتٍ قرآنيةٍ وأحاديثَ صحيحةٍ.

وقد وقفتُ من ذٰلك على مُؤلَّفٍ بسيطٍ[1] في مجلّدٍ، جمعهُ مؤرِّخُ الإسلامِ الحافظُ الذهبيُّ رحمه الله، استوفى فيهِ كلَّ ما فيه دِلالةٌ على الجهةِ مِن كتابٍ أو سنَّة أو قولِ صاحبٍ[2].

والمسألةُ أوضحُ مِن أنْ تلتَبِسَ على عارفٍ، وأبْيَنُ مِن أن يُحْتاجَ فيها إلى التطويلِ، ولكنَّها لمَّا وقعَتْ فيها تلك القلاقلُ والزلازلُ الكائنةُ بين بعض الطوائفِ الإسلاميَّةِ، كَثُرَ الكلامُ فيها وفي مسألةِ الاستواءِ، وطال، سِيَّما بينَ الحنابلةِ وغيرِهم من أهلِ المذاهِبِ، فلهُم في ذٰلك

= تعالى فوق خلقه، لا يحصره ولا يحيط به شيء من المخلوقات، فإنه بائن من المخلوقات، وإن أُريدَ بالجهة أمر عَدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده». كذا في مقدمة «مختصر العلو» (ص ٧٢).

ومما يجب تبيينه أن لفظ «الجهة» غير وارد في الكتاب والسنة، وإنما يتعامل معه وِفْق التفصيل آنف الذكر على مراد قائله، وبالله التوفيق.

وانظر «الكشف عن مناهج الأدلة» (ص ٦١) لابن رشد، و«الرسالة التدمرية» (ص ٤٥)، و«منهاج السنة» (٢ / ٢٥٢) كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله.

(١) أي: كبير مبسوط.

(٢) وهو كتاب «العلو للعلي الغفَّار»، طبع مرات، ثم اختصره شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ مقتصراً على الصحيح الثابت منه.

الفتنُ الكُبْرى والملاحمُ العظمى، وما زالوا هكذا في عصرٍ بعد عصرٍ.

والحقُّ هو ما عَرَّفناكَ مِن مذهبِ السَّلَفِ الصالحِ: فالاستواءُ على العرشِ، والكونُ في تلك الجهةِ، صرَّحَ بِهِ رسولُ اللهِ ﷺ في غيرِ حديثٍ، بل هٰذا ممَّا يجدُهُ كلُّ فردٍ مِن أفرادِ الناسِ في نفسِه، ويُحِسُّهُ في فطرتِه، وتجذِبُهُ إليهِ طبيعتُه[1]، كما تراهُ في كُلِّ مَن استغاثَ باللهِ سبحانَه وتعالى، والْتَجأَ إليهِ، ووَجَّهَ أدعِيَتَهُ إلى جَنابِهِ الرفيعِ وعِزِّهِ المَنيعِ، فإنَّه يُشيرُ عند ذلك بكفِّه، أو يَرمي إلى السماءِ بطرفِهِ، ويستوي في ذٰلك عندَ عُروضِ أسبابِ الدُّعاءِ، وحدوثِ بواعثِ

---

(١) روى الذهبي في «العلو» (ص ٢٧٦ ـ مختصره)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨ / ٤٧٥ و ٧٧ و ٢٠ / ١٠١) بسنده الصحيح عن أبي جعفر الهَمَذاني، قال: سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿الرحمٰنُ على العرش استوى﴾ [طه: ٥]؟

فقال: كان الله ولا عرش، وجعل يَتَخَبَّط في الكلام.

فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة.

فقال: ما تريد بهذا القول؟ وما تعني هذه الإشارة؟

فقلت: ما قال عارفٌ قطّ: يا رباه. إلا قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قصد، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة، فنبِّئنا نتخلص من الفوق والتحت؟ وبكيت وبكى الخلق، فضرب الأستاذ بكمه على السرير، وصاح: يا للحيرة، وحرق ما كان عليه، وانخلع، وصارت قيامة في المسجد، ونزل، ولم يجبني إلا: يا حبيبي الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمذاني».

الاستغاثةِ، ووُجودِ مُقْتَضَياتِ الإزعاجِ ، وظُهورِ دواعي الالتجاءِ، عالمُ الناسِ وجاهِلُهم، والماشي على طريقةِ السلفِ، والمُقْتَدي بأهلِ التأويلِ القائلينَ بأنَّ الاستواءَ هو الاستيلاءُ ـ كما قالَ جمهورُ المتأوِّلينَ والأقيالِ[1] ـ كما قالَه أحمدُ بنُ يحيى ثَعْلب، والزَّجّاج، والفَرَّاء، وغيرهُم، أو كنايةٌ عن المُلْكِ والسُّلْطانِ كما قالَه آخرونَ.

فالسلامةُ والنجاةُ في إمرارِ ذٰلك على الظَّاهِرِ، والإِذْعانِ بأنَّ الاستواءَ والكَوْنَ على ما نَطَقَ به الكتابُ والسنةُ من دونِ تَكييفٍ ولا تَكَلُّفٍ، ولا قيلٍ ولا قالٍ، ولا قُصورٍ في شيءٍ مِن المَقالِ، فَمَنْ جاوَزَ هٰذا المقدارَ بإفراطٍ أو تفريطٍ فهو غيرُ مُقْتَدٍ بالسلفِ، ولا واقفٍ في طريقِ النجاةِ، ولا مُعْتَصِمٍ عن الخطإِ، ولا سالكٍ في طريقِ السلامةِ والاستقامَةِ.

وكما نقولُ هٰكذا في الاستواءِ، والكونِ في تلك الجهةِ، فكذا نقولُ في مثلِ قولِه سبحانَه: ﴿وهُو مَعَكُم أَيْنَما كُنْتُم﴾[2]، وفي نحو: ﴿ما يَكونُ مِن نَجْوى ثلاثةٍ إلاَّ هُو رابِعُهُم ولا خَمْسَةٍ إلاَّ هُو سادِسُهُم﴾[3]، وفي نحو: ﴿إنَّ الله مَعَ الصَّابِرينَ﴾[4]، ﴿إنَّ الله مَعَ

---

(١) جمع قيل، وهو الرئيس أو الملك عند أهل حِمْيَر، فلعل المصنف ـ رحمه الله ـ شبه أهل التأويل بالرؤساء الذين يقولون ما شاؤوا، ولو كان باطلاً، فينفِّذ أتباعهم ما يسمعون دونما جدالٍ أو بحثٍ!!

(٢) سورة الحديد: ٤.

(٣) سورة المجادلة: ٧.

(٤) سورة الأنفال: ٤٦.

الذينَ اتَّقَوْا والذينَ هُم مُحْسِنون﴾[1]، إلى ما يُشابهُ ذلك ويماثِله ويُضارِعه.

فنقولُ في مثلِ هٰذه الآياتِ: هٰكذا جاءَ القرآنُ أنَّ الله سبحانَهُ مَع هٰؤلاء، ولا نتكَلَّفُ تأويلَ ذٰلك كَما يَتَكَلَّفُ غيرُنا بأنَّ المرادَ بهٰذا الكونِ وهٰذه المعيةِ هو كونُ العلمِ ومعِيَّتُه، فإنَّ هذه شعبةٌ مِن شُعَبِ التأويلِ[2] تخالِفُ مذاهبَ السلَفِ، وتُبايِنُ ما كانَ عليهِ الصحابةُ والتابعونَ وتابِعوهم، وإذا انْتَهَيْتَ إلى السلامةِ في مَدَاكَ فلا تُجاوِزْهُ.

وهٰــذا الــحَــقُّ لَيْسَ بِه خَفـاءُ
فدَعْـنِـي مِن بُنَـيَّاتِ الـطَّرِيقِ[3]

---

(١) سورة النحل: ١٢٨.

(٢) وقد تقدم في «تنبيهات» قول الإمام أبي عمرو بن عبدالبر في نقض هذا الكلام من المصنف، ونقله عنه الذهبي في «العلو»، فقال شيخنا ـ حفظه الله ـ تعليقاً في «مختصره» (ص ٢٦٨):

«في هذا النصّ ردٌّ صريحٌ لما ذهب إليه الإمام الشوكاني في آخر «تحفته» أن تأويل هذه الآية وآية ﴿وهُو معكُم أينَما كُنْتُم﴾ بالمعية العلمية، إنما هو شعبة من شعب التأويل المخالف لمذهب السلف، وما كان عليه الصحابةُ والتابعون وتابعوهم.

كذا قال، وكأنه لم يقف على هذا النصّ من الحافظ ابن عبدالبر، ولا على من سبق عن الأئمة الفحول، كسفيان الثوري، ومالك، ومقاتل بن حيان، الذين فسّروا الآيتين بمثل ما نقل ابن عبدالبر إجماع الصحابة ومن بعدهم عليه.

فلا تغترَّ إذاً بما زعمه الشوكاني من المخالفة، فإن لكلِّ عالمٍ زلَّةً، ولكل جوادٍ كبوةً.

(٣) بُنَيَّات الـطريق: هي الطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة، يريد بها ضعيف =

وقد هَلَكَ المُتَنَطِّعونَ[1]، ولا يهلِكُ على الله إلا هالِكٌ، وعلى نفسِها بَراقِشُ[2] تَجْنِي .

وفي هذه الجملةِ ـ وإن كانت قليلةً ـ ما يُغْني مَن شَحَّ بدينِـهِ وتَحَرَّصَ عليهِ عنِ تَطْويلِ المقالِ ، وتكثيرِ ذُيولِهِ، وتَوْسيعِ دائرةِ فروعِهِ وأصولِهِ .

والهِـدايَةُ مِن الله ، والله أعلمُ ، ولله الحَمْدُ أولاً وآخِراً، وظاهِراً وباطناً، وأُصلِّي وأُسَلِّمُ على محمد النبيِّ الأمِّيِّ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلّم .

[تمَّت بحمد الله]

□□□

= الكلام الذي يُرَدُّ الحقُّ به .

(١) كما في الحديث الذي رواه مسلم (٢٦٧٠) عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه .

(٢) هو اسم كلبـة ، سمعت وقـع حوافـر دواب ، فنبحت ، فاستدلوا بنباحها على القبيلة ، وهذا مثل يضرب لمن عمل عملاً يرجع ضرره عليه .
كذا في «القاموس» (ص ٧٥٤ ـ طبع الرسالة)، وانظر «الحيوان» (١ / ٢٦٠)، و(٢ / ٢١) للجاحظ .



الفهارس التفصيلية

١ ـ فهرس الآيات .

٢ ـ فهرس الأحاديث .

٣ ـ فهرس الآثار .

٤ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم .

٥ ـ فهرس المواضيع والفوائد .

٦ ـ ثبت المراجع والمصادر .

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	رقمها
قل يا أيها الكافرون	١	الكافرون	٦
ما يكون من نجوى ثلاثة	٧	المجادلة	٢٧، ٦١
وإذا مسكم الضر في البحر	٦٧	الإسراء	٢١
وكل حزب بما لديهم فرحون	٣٢	الروم	٢١
ولأصلبنكم في جذوع النخل	٧١	طه	١٩
ولا يحيطون بشيء من علمه	٢٥٥	البقرة	٥٣
ولا يحيطون به علماً	١١٠	طه	٥٣
وهو معكم أينما كنتم	٤	الحديد	٦١
يعلم السر وأخفى	٧	طه	٢٧
يعلم ما يلج في الأرض	٤	الحديد	٢٥

□□□



فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	درجته	الصفحة
ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء	أبو سعيد الخدري	صحيح	٣٧
أين الله	معاوية بن الحكم	صحيح	٣٦
خير الناس قرني	عبدالله بن مسعود	متواتر	٤٤
كم تعبد اليوم إلهاً	عمران بن الحصين	ضعيف	٣٧
هذا عبد آمن بربه		صحيح	٦
هذا عبد عرف ربه		صحيح	٦
هلك المتنطعون	ابن مسعود	صحيح	٦٢
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا	أبو هريرة	متواتر	٣٧

□□□



فهرس الآثار

طرف الأثر	قائله	درجته	الصفحة
أرادني ابن أبي دؤاد أن أطلب له في بعض لغات العرب	ابن الأعرابي	صحيح	٣١
اسكت، لا يقال استولى على شيء حتى يكون له مضاد	ابن الأعرابي	صحيح	٣٣
كم من مريد للخير لن يبلغه	ابن مسعود	صحيح	٤١

فهرس الأعلام المترجم لهم

□□□



فهرس المواضيع والفوائد

□□□



ثبت المراجع والمصادر

* «الإبانة عن أصول الديانة»، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: الدكتورة فوقية حسين.
* «أبجد العلوم»، صديق حسن خان، دار الكتب العلمية.
* «الأسماء والصفات»، البيهقي، دار الكتب العلمية.
* «الاعتقاد»، البيهقي، عالم الكتب.
* «الأعلام»، الزركلي، دار العلم للملايين.
* «الإكليل في المتشابه والتأويل»، ابن تيمية، طبع مصر.
* «إيضاح المكنون»، البغدادي، دار الفكر.
* «البداية والنهاية»، ابن كثير، مكتبة المعارف.
* «البدر الطالع»، الشوكاني، دار المعرفة.
* «تأويل مختلف الحديث»، ابن قتيبة، دار المعرفة.
* «تأويل مشكل القرآن»، ابن قتيبة، المكتبة العلمية.
* «التاج المكلل»، صديق حسن خان.
* «تاريخ بغداد»، الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية.
* «التاريخ الكبير»، البخاري، دار الفكر.
* «التبريز في تراجم العلماء ذوي التمييز»، الجندار.
* «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير، دار المعرفة.

* «التمهيد»، ابن عبد البر، طبع المغرب.
* «تهذيب التهذيب»، ابن حجر العسقلاني، طبع الهند.
* «جامع البيان في تفسير القران»، الطبري، دار المعرفة.
* «جزء محمد بن عاصم عن شيوخه»، محمد بن عاصم الأصبهاني، تحقيق: سليم الهلالي.
* «الحيوان»، الجاحظ.
* «خلق أفعال العباد»، البخاري، مؤسسة الرسالة.
* «درء تعارض العقل والنقل»، ابن تيمية، طبع بيروت.
* «درر الحور العين»، الجحاف الصنعاني.
* «دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية»، سليم الهلالي، تحت الطبع.
* «ديباج الخسرواني»، حسن بن أحمد عاكش.
* «الرد على الجهمية»، الدارمي، تحقيق بدر البدر.
* «الرد على الجهمية والزنادقة»، أحمد بن حنبل، طبع السعودية.
* «الرسالة التدمرية»، ابن تيمية، طبع المكتب الإسلامي.
* «الرسالة المستطرفة»، الكتاني، دار الكتب العلمية.
* «زاد المسير»، ابن الجوزي، طبع المكتب الإسلامي.
* «السنن»، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
* «السنن»، أبو داود، دار الفكر.
* «السنن»، الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر.
* «السنة»، عبدالله بن أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية.
* «سير أعلام النبلاء»، الذهبي، مؤسسة الرسالة.

* «سيرة الهادي» .
* «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، اللالكائي ، طبع السعودية .
* «شرح العقيدة الطحاوية»، ابن أبي العز الحنفي ، طبع المكتب الإسلامي .
* «الشريعة»، الآجري ، تحقيق : محمد حامد الفقي .
* «صحيح البخاري» ، البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي .
* «صحيح مسلم» ، مسلم الحجاج ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي .
* «طبقات فقهاء اليمن» .
* «العقيدة الحموية» ، ابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى .
* «العلو للعلي الغفار» ، الذهبي ، دار الفكر .
* «فتح الباري» ، ابن حجر العسقلاني ، الطبعة السلفية .
* «فتح القدير» ، الشوكاني ، دار المعرفة .
* «فهرس الفهارس» ، الكتاني ، دار الغرب الإسلامي .
* «القاموس المحيط» ، الفيروزآبادي ، طبع الرسالة .
* «الكشف عن مناهج الأدلة» ، ابن رشد .
* «لسان العرب» ، ابن منظور، دار صادر.
* «لسان الميزان» ، ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر.
* «لوامع الأنوار البهية» ، السفاريني ، طبع قطر.
* «مجموع الفتاوى» ، ابن تيمية ، طبع السعودية .
* «مسائل الإمام أحمد» ، أبو داود ، دار المعرفة .
* «المسند» ، أحمد بن حنبل ، طبع بيروت .

* «المسند»، أبو داود الطيالسي، طبع بيروت.
* «معجم المؤلفين»، عمر رضا كحالة.
* «منهاج السنة النبوية»، ابن تيمية، دار الكتب العلمية.
* «ميزان الاعتدال»، الذهبي، دار المعرفة.
* «نهاية الإقدام في علم الكلام»، الشهرستاني، نشر ألفرد جيوم.
* «نيل الأوطار»، الشوكاني، دار الفكر.
* «نيل الوطر»، زبارة.
* «هدية العارفين»، البغدادي، دار الفكر.

□□□

